المسجد

رمز الصمود والتحدى

د. عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدى

المسجد

رمز الصمود والتحدى

مكتبة الدار العربية للكتاب

24 ش الدكتور حسن إبراهيم من مكرم عبيد . ص . ب 7584 الحى الثامن - مدينة نصر - القاهرة - ت : 2741721
e- mailALMASRIAHRASHAD@LINK.NET

رقم الإيداع : 9079 / 2002
الترقيم الدولى : x - 129 - 293 - 977
تجهيزات فنية : الإسراء ت : 3143632
طبع: أمون ت : 7944356 - 7944517
الطبعة الأولى : ربيع أول 1423 هـ مايو 2002 م

إهـــداء

أهدى هذا الكتاب إلى:

* أرواح شهداء المسجد الأقصى الأبرار، الذين جادوا بأرواحهم الطاهرة، فى سبيل الذَّوْد عن ثراه الطاهر.
* إلى أمتنا العربية الأبية، التى تحوط القدس الشريف بقلوبها، وتضعه بين أجفانها وأحداقها.
* إلى كل الجهود الخيِّرة، التى تُدعم استعادة الحق السليب، والعمل على تحطُّم الأحلام الهمجية على صخرة الأقصى الحبيب.
* سَلِمْتِ ياقُدس، وسَلِمَ الأقصى الشزيف رمزًا للصَمودَ والتحدى.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، جعل بيوته فى الأرض المساجد، فقال وقوله الحق: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾[1]، وجعل رُوَّادَها وعُمَّارها المتقين، ففى حديث أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إن المساجدَ بيوتُ المتقين»[2]، وعن محمد بن واسع قال: قال أبو الدرداء لابنه: يا بُنَىَّ لِيكُنِ المسجد بَيْتَكَ، فإنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «المساجد بيوت المتقين، فمن يكنِ المسجد بيتَهُ يَضْمَنِ الله له الرَّوْحَ والرحمة والجواز على الصراط إلى الجنة»[3]، كما أعد الله لزُوَّاره فيها منازل الخير والكرامة، فعن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال: «المساجد بيوت الله فى الأرض، وحق على المَزُورِ أن يُكرم زائره».

ثم الصلاة والسلام على رسول الله الأمين، سيدنا محمد، الذى

(١) سورة الجن: ١٨.

(٢) أخرجه الطبرانى.

(٣) إعلام الساجد بأحكام المساجد، ص ٣٠٥.

تعلَّق قلبُه بالمساجد ـ إنشاءً وعمارةً وعبادة لله رب العالمين ـ فهى مَثَابَةُ التوحيد والإيمان، وموطن الهدى والعرفان، ورضى الله عن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسانٍ وأمانٍ إلى يوم الدين، ورضى الله عن كل مَنْ تعلَّق قلبه بالمساجد، واهتم بها ولها، من منطلق اهتمامه بأمر المسلمين.

وبعد...

فإن المكتبة العربية ما تزال فى حاجة ماسة إلى تضافر الجهود، ووضع البحوث والمؤلفات العلمية التى تجلى للأمة دور المسجد فى ترشيد العمل الإسلامى وقيادة أمور الحياة، ذلك لأن معظم الكتابات والبحوث الحالية والمتعلقة بالمسجد إنما عُنِىَ أصحابها فى إعدادها ـ بصفة عامة ـ بالجانب الإنشائى والمعماررى والتاريخى لهذه المؤسسة الإسلامية الحيوية، وهذه جوانب أساسية فى هذا الموضوع ولا غنى عنها؛ لأنها توقفنا على تطورها وتاريخها الذى يعكس لنا اهتمام المسلمين بها، وتفانيهم فى تأسيسها وتشييدها، وحرصهم الزائد على إبرازها فى أبهى صورة، فكانوا يُفرغون فيها عصارة أفكارهم، وينفقون عليها جُلَّ ثرواتهم.

أمَا وقد أصبحنا نعيش فى عالم يموج بالفتن، ويضطرب بالأحداث الجسام، وتقدَّم فيه المعلومات المتعلقة بقضايا الإسلام والمسلمين مبتورة تارة، ومغلوطة ـ عمدًا ـ تاراتٍ أخرى، متأثرة فى كل هذا بعامل الجهل حينًا، وبعوامل الهوَى والغرض فى معظم الأحيان،

يحدث كل هذا وغيره تحت وطْأة التقدم التِّقَنِىِّ المذهل، وثورة المعلومات، فضلاً عن سرعة إيقاع الحياة، وقد استغلت الحركاتُ المناوئة للإسلام كلَّ هذه المتغيرات والمتناقضات وأحالتها معاول هدم للقضاء على الأخلاق والقيم والدين، كما صَوَّبَتْ سهامها نحو المسجد؛ لأنها ترى فيه خصمَها الأشد، وعدوها الألَدّ، ومما يثير العجب والدهشة أن الذين تولوا كِبْرَ هذه المفاسد من المبشرين والمستشرقين والملحدين ـ على ما بينهم من فرقة واختلاف ـ لا يجمعهم إلا هدف واحد، هو الكيد لهذا الدين الظاهر بأمر الله، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾(١)، وقد تحركوا تحت شعارهم المعلن: «ليس المهم إخراج المسلم من دينه، ولكن الأهم هو إخراج المسلم من المسجد» لأنهم يرون ـ وهذا حق ـ أن تحرك المسلم فى جنبات الدنيا بروح المسجد وَقِيَمِه ومنهجه يملأ الكون عدلاً وقسطًا، وعافيةً وبركة، أما إذا تحرك فى الحياة بغير هذه الروح فَقُلْ على الدنيا العفاء.

ثم ما لبثت هذه الدعوات الهدَّامة أن خَرَّجَتْ للدنيا فِرَقًا من الفُرَقَاء والحاقدين، الذين حملوا المعاول جهارًا نهارًا لهدم المسجد على رءُوسِ مَنْ فيه، بل وشَنّ الغارات المسلحة، والهجمات البربرية

(١) سورة التوبة: ٣٢.

الوحشية على الركع السجود، ففى ظهر يوم الثامن عشر من شهر ديسمبر عام ١٨٣٢م تقدمت بطاريات الجيش الفرنسى فى الجزائر العاصمة وهاجمت أبواب مسجد «القشاوة» وحطمت أبوابه، وقضت على أربعة آلاف مسلم من الذين اعتصموا بالله فى هذا المسجد، أربعة آلاف من الركع السجود.

* وفى السادس من ديسمبر عام ١٩٩٢م قام الموتورون من طوائف السيخ والهندوس باقتحام مسجد «البابرى» بمدينة «أبودا» بولاية «أوتاربراديش» بالهند وهدمه، وإقامة معبد للإله «رام» فى ناحية منه.
* وفى فجر الجمعة الخامس عشر من شهر رمضان ١٤١٤هـ/ ٢٠ من فبراير ١٩٩٤م قام مستوطن يهودى بإطلاق الرصاص على الركع السجود بالحرم الإبراهيمى، فقتل وأصاب ٣٧٠ شخصًا.
* وكما حدث ويحدث جهارًا نهارًا فى البوسنة والهرسك من ديار المسلمين، وغيرها من انتهاكات صارخة لمساجد المسلمين، وهو ما اكتفى الضمير العالمى حياله بإطلاق صيحات الشجب والاستنكار، والتى أصبحت شعارات جوفاء لا تحرك ساكنًا، ولا تقيم مائلا، بل لا نبالغ إذا قلنا إن أثرها لايعدل قيمة المداد الذى كتبت به.

فالمسجد مُسْتَهْدَف منذ أول يوم أُقيم فيه للمسلمين مسجد، وقُوَى

الشَّرِّ ضالعة فى هذه المؤامرة، بدءًا من إنشاء مسجد الضرار بالمدينة المنورة بالقرب من مسجد قباء، أول مسجد أُسِّسَ فى الإسلام، إبَّان نشأة الدولة الإسلامية، ومروراً باستباحة القرامطة للمسجد الحرام وتعطيل موسم الحج، وإعمال السيف فى رقاب الحجيج، واستلاب الحجر الأسود ونقله إلى البحرين حيث استمر بها زهاء اثنتين وعشرين سنة، وكذلك مَا صَاحَبَ سقوط الأندلس، وهَجْمَةَ المغول على بغداد، والصليبيين على بلاد الشام من ويلات ومآسٍ، واقتحام الغزاة لكثير من مساجد المسلمين وتدنيسها، كالمسجد الأقصى بفلسطين، والجامع الأزهر بمصر، يوم أن دنسته ونجسته الحملة الفرنسية واقتحمته بخيلها وخُيَلاَئِها، وهذا قليل من كثير.

وحتى تتضح لنا حقيقة هذا المخطط، فإننا سنورد مقتطفات من الأقوال والتصريحات التى تكشف حقيقة تلك التصرفات وغيرها، وذلك فيما يلى:

* يقول «نابليون بونابرت» فى كتابه «حملات مصر وسوريا»:

«إن أهم العقبات أمام الاحتلال الفرنسى لمصر هى: إن أية قوة عسكرية فرنسية يجب أن تواجه حروباً ثلاثة، ألا وهى: أن أولها ضد إنجلترا، والثانية ضد السلطان العثمانى، والثالثة ـ وهى أصعبها ـ الحروب ضد الإسلام»[1].

(١) الإسلام فى مواجهة التحديات، ص ٥٠ ، ٥١.

* أما رئيس وزراء بريطانيا الأسبق «جلاد ستون» فيقول:

«إننا لن نقهر المسلمين ما بقى فيهم ثلاثة: الكعبة، والمصحف، والأزهر».

* يقول «مناحم بيجين»:

«إن قلوبكم أيها الإسرائيليون لا يصح أن تتألم وأنتم تقتلون عدوّكم، ولا ينبغى أن تأخذكم بهم شفقة، طالما أننا بَعْدُ لم نقض على ما يسمى بالثقافة العربية التى سوف نبنى على أنقاضها حضارتنا الخاصة».

تلك هى نظرة القوم للمسجد ولرسالته، وللإسلام ولشريعته، ولثوابت المسلمين ومقدساتهم، إنها نظرة مادية جامحة، توغر الصدور، وتُفَجِّر الشرور، وهذه الثوابت ـ التى يشيرون إليها بأصابع الاتهام ـ هى مَفْخَرة المسلمين، ومحل تقديرهم، لما لها من أهمية ومكانة، فالكعبة قبلتهم فى الصلوات والدعاء، والمصحف دستورهم الخالد، الذى ضَمِن الله حفظه فى قوله الكريم: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾(1). ومساجد المسلمين بيوت عبادة الله، وبالرغم من مكانة تلك المقدسات فى نفوس المسلمين فإنهم لا يعبدونها، وإنما يمتثلون فيها أمر الله ونهيه، ويقفون فيها عند حدوده، كما علمهم الرسول الكريم سيدنا محمد ﷺ.

---

(1) سورة الحجرات: ٩.

ولا يمكن مجابهة هذه الأحقاد وكشف ضلالها إلاَّ بتفهم الإسلام، والوقوف على حقيقة رسالته، وأنه الدين الذى يصلح لقيادة الحياة الحرة الكريمة، وذلك من خلال الدور الحقيقى لرسالة المسجد فى تحرير القلوب والعقول وتنويرها، فرسالة المسجد فى الإسلام تنبع من مشكاة الشريعة الإسلامية الغراء، فلا يقتصر المسجد على كونه مجرد مكان تُؤَدَّى فيه الصلوات، أو يتم فيه تحصيل العلم ومَدارَسَته، أو تَحَمّل أعباء العمل الاجتماعى، وإنما تخطى ذلك كله ليكون مَفْزَع الأمة عند حلول النوازل الطبيعية، فضلاً عن دَرْء أخطار المغيرين من الأعداء على ديار الإسلام.

إن المسجد ـ من هذه المنطلقات جميعًا ـ يُشكل فى حياة الأمة الإسلامية ـ على بساطته ـ ضرورة دينية وسياسية واجتماعية، فهو رمز ترابط الأمة، وهيكلها المادى الملموس، وهو محور ارتكازها، ونقطة انطلاقها إلى حياة جادة مستقرة، وكيف لا يكون المسجد كذلك وقد أغنى الأمة فى عصورها الزاهرة عن كثير من مؤسساتها التربوية والحياتية الأخرى!! فى الوقت الذى لم تستطع فيه هذه المؤسسات مجتمعة أن تؤدى دورها الصحيح فى غيابه أو بعيدًا عنه، ولا أدل على صدق هذه الدعوى من تلك الجموع التى تخرجت من ساحته، حيث كانت مفخرة الدهر، وزينة الدنيا، ورحمة للعالمين، فقد استطاعت ـ عن جدارة واقتدار ـ أن تتقدم بِلواء الإسلام لترفعه على حدود الصين، ووسط أوروبا، وأدغال أفريقيا، فى الوقت

الذى قدَّمَتْ فيه للدنيا حضارة زاهرة، ولا أحسبنى مبالغًا إن قلت: **إن حضارات أهل الأرض من بعدها كانت عالة عليها لعدة قرون.**

وما كل تلك المحاولات التخريبية، والعدوان الصارخ على المسجد وعلى رسالته إلاَّ محاولات للنيل من الإسلام ذاته، وإقْصَائه عن المشاركة الجادة والفعَّالة فى إدارة الحياة وتوجيهها بروح الإسلام ومنهجه، فضلاً عن عزل هذه المؤسسة الهامة عن جموع المسلمين، ولا معنى لمحاولة رَمْيِهِ بالجمود والتأخُّر إلاَّ اتخاذ ذلك وسيلة للاستغناء عنه وعن رسالته، وكل هذا يمهد الطريق لِفُلُول الحاقدين على الإسلام وأهله لكى تتقدم وتلقى فى روع الناس **أن التقدم العلمى فى ضوء ضوابط العقل وفنون العلم ووسائل الثقافة والفكر، وحراسة المجتمع، كل ذلك قد أصبح فى غِنى عن قيادة الدين لشئون الحياة.**

ولما كنتُ قد تقدمتُ ببحث عن «دور المسجد فى ترشيد العمل الإسلامى» وشاركتُ فى المؤتمر الدولى «العمل الإسلامى: الواقع والمستقبل»، والذى أقيم فى رحاب جامعة الأزهر فى الفترة من ١٦ إلى ١٨/ ٤/ ١٩٩٤م والذى أَعَدَّتْ له رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر، فقد لمستُ أهمية الكتابة فى هذا الموضوع من خلال مناقشات السادة أعضاء المؤتمر والمشاركين فيه، واستحسانهم له، وعليه فقد وجدتُ لزامًا علىَّ أن أضاعف الجهد فى إعادة صياغة هذا الموضوع، خدمة للمسجد، وتعريفاً بدوره فى قيادة المجتمع إلى الخير

والفلاح، ومشاركته فى برامج التنمية البشرية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية بصورة روحية طيبة، وقد اقتضانى ذلك أن أُشَخِّص الدَّاء، وأصف الدواء، داعياً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، مشيراً إلى ما تمتلئ به الساحة المحلية والدولية من متغيرات ومستجدات، وقد أطلقت على هذا المؤلَّف: «**المسجد رمزُ الصمود والتحدِّى**»

كما جاء ترتيب هذا الموضوع على النحو التالى:

* المقدمة: وتحتوى على مدخل لأهمية الكتابة فى هذا الموضوع.
* الفصل الأول: وتناولت فيه التعريف بالمسجد وبالمؤسسات الأخرى التى تشاركه فى مهمته، مثل الزاوية، الرباط، التكية والقبة...
* الفصل الثانى: وفيه بسطتُ القول عن رسالة المسجد.
* الفصل الثالث: واستعرضت فيه أهم الأخطار التى أحاطت بالمسجد وبرسالته، ومحاولة طمس هويته وتغيير معالمه.
* الفصل الرابع: وضمّنته إعداد خطة متواضعة للنهوض بالمسجد وبرسالته.

فإن كنتُ قد وفقت فى ذلك فهذا محضُ فَضْلٍ من الله، وإن كان غير ذلك، فحسبى أننى اجتهدت، والحمد لله أولاً وآخرا،

المؤلف
أ.د.عبدالحكم عبداللطيف الصعيدى
الأستاذ بجامعة الأزهر

مدينة نصرفى:
رجب ١٤٢١هـ
أكتوبر ٢٠٠٠م



شكل (١) تجمعات الهندوس المتطرفين الذين جاءوا لهدم مسجد «البابرى» بهدف إقامة ضريح «رام» الهندوسى مكانه



شكل (٢) حادث مسجد «البابرى» رسالة خطيرة إلى الضمير العالمى

الفصل الأول

التعريف بالمسجد

أولاً: المسجد لُغَـةً:

عندما نطالع مَعَاجِمَ اللغة فإننا نجدها تفصِّلُ القولَ فى تحديد معنى المسجد على النحو التالى:

المسجِد (بكسر الجيم): اسم يُطلق على مكان سجود المصلِّى.

المسجَد (بفتح الجيم): جبهة الرجل فى حال السجود.

المِسجد (بكسر الميم)، والمسْجَدة والسجادة: هى الخُمْرَة التى تُعَدُّ للصلاة والسجود، وهى السَّجَّادة المعروفة، وكانت تُصنع إمَّا من الحصير، أو من المنسوجات القطنية أو الصوفية، أو من اللَّدائن (البلاستيك).

وقيـل: هـى الحصـيرة الصغيـرة، كما أورده العسكـرى فـى التصحيف، وكما أورده صاحب لسان العرب.

المسْيَد (بإبدال جيم المسجد ياء وفتحها): هى كلمة تُرادف كلمة المسجد، ولكنها مولَّدَة، وينطق بها هكذا سكان بعض دول الخليج العربى.

المعنى الشرعى للمسجد:

يطلق المسجد شرعًا على كل موضع من الأرض يصلح للصلاة فيه، وقد اشتق اسم المسجد من السجود، لأن السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد فيه من ربه، وقد خصص العُرْف إطلاق كلمة المسجد على المكان المهَيَّأ لأداء الصلوات الخمس والجمعة، أمَّا ما عدا ذلك فإنه يُطلق عليه كلمة أخرى وهى «المصَلَّى».

والمصَلَّى: هى المكان الذى يعد لصلاة العيد ونحوه، ولا تأخذ حُكم المسجد، بمعنى أنه لا يصح فيها الاعتكاف، ولا يحرم دخولها على الجُنُب، كما لا تشترط الطهارة لدخولها، وما إلى ذلك من الأحكام المبسوطة فى كتب الفقه.

ثانيا: المسجد من خصائص الأمة الإسلامية:

إذا كانت الأمم السابقة قد امتازت بأداء الصلوات فى أماكن مخصصة كالأديرة والكنائس والبِيَع، فإن الأمة الإسلامية قد امتازت بالمسجد، والمسجد هنا يمتد ليشمل كل مكان طاهر من سطح الأرض، كما امتازت أيضًا بجواز الطهارة بالتراب الطاهر، مثل التيمم، فقد رَوَى البخارى من حديث جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مسجدًا وتربتُها طهورًا»**.

قال المهلَّب: المخصوص به نبينا ﷺ جَعْلُ الأرض طهورًا، أمَّا كونها مسجدًا فلم يأتِ فى أثرٍ أنها مُنعت من غيره، فكأنه قال:

جُعلت لى الأرضُ مسجدًا وطهورًا، وجُعلت لغيرى مسجدًا ولم تجعل له طهورًا.

وهذا هو الظاهر من حديث جابر وأبى هريرة فى عَدِّ الطهور والمسجد فى حكم الواحد(١).

ثالثا: عناية الإسلام بالمسجد:

لقد أولْتِ الشريعةُ الإسلامية المسجدَ فائقَ عنايتها، نظرًا لما يَحْظَى به من مكانة فى وجدان المسلم، ولما له من دور رائد فى حياة الأمة الإسلامية، ودفعها قُدُمًا إلى الأمام نحو مراقى الفلاح، ونستطيع أن ندرك ذلك جليًّـا من خلال النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، التى تحض على إنشاء المسجد والعناية به، هذا بالإضافة إلى اهتمام الرسول ﷺ بإنشاء المسجد منذ أول يوم أوشك فيه الإسلام أن يكون له دار ودولة، وسنحاول بيان ذلك على النحو التالى:

١- عناية الإسلام بالمسجد فى الجانب النظرى:

أ) نصوص القرآن الكريم:

لقد تضافرت نصوص القرآن على الدعوة إلى تشييد المسجد وإعداده الإعداد الجيد تقربًا إلى الله تعالى وابتغاء مرضاته، وأن يكون ذلك فى جَوٍّ من التجرد وإخلاص النية لله، وأن تظهر على

---

(١) إعلام الساجد بأحكام المساجد، ص ٢٦ وما بعدها.

المسلم نِعَم الله وأياديه أثناء ارتياده لهذه الأماكن، حتى تظهر الجماعة الإسلامية دائمًا وأبدًا فى أحسن صورة وأَبْهَى منظر، ويلتقى المسلمون دائمًا فى هيئة حسنة، إقرارًا بربوبية الله، وشكرًا لنعمه، فكلُّ ذلك من شأنه أن يؤلف القلوب، ويجمع الصفوف، فضلاً عن تعميقه لمعنى الأسوة والقدوة السلوكية.

وتجدر الإشارة إلى أن النصوص القرآنية الواردة فى هذا الخصوص، والتى تعرضت لعمارة المسجد، إنما تشير إلى العمارة الحسية والمعنوية، وإليك ـ أخى القارئ ـ جانبًا من هذه النصوص الكريمة:

يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[١].

ويقول تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾[٢].

ويقول عزَّ من قائل: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ

(١) سورة النور: ٣٦-٣٨.

(٢) سورة الجن: ١٨.

تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾(١).

ويقول جَلَّ شأنه: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾(٢).

ويقول جَلَّ وعَلاَ: ﴿ ..لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾(٣).

ويقول ـ تعالى ـ: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾(٤).

ب) الأحاديث النبوية الشريفة:

كما حفلت السنة النبوية بكثير من النصوص التى تدعو إلى العناية بالمسجد فى مختلف الجوانب، فضلاً عن بيان فضله، وسنحاول ـ بفضل الله تعالى ـ تبويبها هنا بعد أن تتبعناها فى مصادرها الصحيحة، وذلك على النحو التالى:

---

(١) سورة الحج: ٢٦.

(٢) سورة البقرة: ١٢٧، ١٢٨.

(٣) سورة التوبة: ١٠٨.

(٤) سورة الأعراف: ٣١.

(١) المساجد أحب البلاد إلى الله :

* عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**أحبُّ البلاد إلى الله مساجدُها، وأبغضُ البلاد إلى الله أسواقها**»(١).

* روى الآجُرِّىُّ أن سائلاً سأل النبى ﷺ عن شرِّ البقاع، فلم يكن عنده عِلْمُ ذلك حتى جَاءَ جبريل فقال: «**شر البقاع الأسواق، وخيرها المساجد**»(٢).

* عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**تذهب الأَرَضُون كلُّهَا يوم القيامة إلاَّ المساجد، فإنه يُضَمُّ بعضها إلى بعض**»(٣).

(٢) المساجد بيوت المتقين :

* عن أبى الدرداء قال: لتكن المساجدُ مجلسَك، فإنى سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنَّ الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ ضَمِن لمن كان المسجد بيته الأَمْنَ والجوازَ على الصراط يوم القيامة**»(٤).

* عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيتُم الرجلَ يعتادُ المساجدَ فَاشْهَدُوا له بالإيمان، ثم تلا قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ**

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه برقم ٤٦٤.

(٢) رواه البزار.

(٣) رواه الطبرانى فى معجمه الوسيط.

(٤) رواه البزار، وقال: هذا حسن الإسناد.

الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾[1]»[2].

(٣) فضل بناء المساجد وتطهيرها:

* عن محمود بن عبيد أن عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ أرادَ بناء المسجد، فكَرِهَ الناس ذلك، وأحبوا أن يَدَعَهُ على هيئته، فقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**من بَنَى لله مسجدًا بَنَى الله له بيتًا فى الجنة**»[3].

وفى رواية: «**من بَنَى لله مسجدًا يبتغى به وجه الله بَنَى الله له بيتًا فى الجنة**»[4].

* روى الشيخان وأبو داود وابن ماجه: أن امرأة كانت تَقُمُّ المسجد (أى تكنسه)، فماتتْ، فسأل النبىُّ ﷺ عنها، فقيل له: ماتت، فقال: «**أفلا كنتم آذَنْتُمُونى بِها؟**. (أى أَعْلَمْتُمُونِى بموتِهَا لأُصَلِّىَ عليها) **دلونى على قبرها، فأتى قبرها فصلى عليها**».

* عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**البُصاق فى المسجد خطيئة، وكفَّارتها دَفْنُهَا**»[5].

---

(١) سورة التوبة: ١٨ .

(٢) رَواه أحمد، والترمذى وحسَّنه، وابن ماجه، والحاكم، وصححه.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أحمد، والترمذى، وابن ماجه، والشيخان.

(٥) متفق عليه.

* عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القَذَر، إنما هى لذكر الله ـ تعالى ـ وقراءة القرآن»[1]. أو كما قال رسول الله ﷺ.

* عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن النبىَّ ﷺ قال: «من أَكَلَ من هذه الشجرة ـ يعنى الثُّومَ ـ فلا يقربَنَّ مسجدنا»[2]، ولفظ مسلم: (مساجدنا).

* عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال: قال النبىُّ ﷺ: «من أكل من هذه الشجرة فلا يَقْرَبْنَا، ولا يُصَلِّيَنَّ معنا»[3].

* وفى رواية لمسلم: «من أكل البصلَ والثوم والكُرَّاثَ فلا يقربَنَّ مسجدنا، فإن الملائكة تتأذَّى ممَّا يَتَأَذَّى منه بنو آدم».

* عن سَمُرَةَ بن جُندب قال: «أَمَرَنَا رسولُ الله ﷺ أن نَتَّخذَ المساجدَ فى ديارنا، وأمرنا أن نُنظفها»[4]، وفى معناه من حديث عائشة: (وأن تُطيَّبَ).

(٤) فضل الصلاة فى المسجد والذهاب إليه والمُكْث فيه:

* ورد عن سهل بن سعد مرفوعًا، عن النبى ﷺ قال: «مَنْ غَدَا إلى المسجد لا يريد إلاَّ أن يتعلَّم خيرًا أو يعلمه، كانَ كأَجْرِ حاجٍّ تامًّا حجُّه»[5].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه أحمد، والترمذى وصححه.

(٥) أخرجة الطبرانى بإسناد حسن.

* عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «ما مِنْ قَوْمٍ يجتمعون فى بيت من بُيوت الله يتعلمون القرآن، يَتَدَارَسُونَهُ فيه، إلاَّ حَفَّتْهُمُ الملائكةُ، وغشيتْهُم الرحمة، وتنزَّلَتْ عليهمُ السَّكينة، وذَكَرَهُمُ الله فيمن عنده، وما مِنْ رَجُلٍ سلكَ طريقًا يلتمس فيه علمًا إلا سَهَّلَ الله له طريقًا إلى الجنة، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نَسَبُه»(١).

* روى الشيخان وأصحاب السنن ـ إلاَّ النسائى ـ من حديث أبى هريرة مرفوعًا: «صلاة الجميع ـ وفى رواية: صلاة الجماعة ـ تزيد على صلاته(٢) فى بيته وصلاته فى سوقه خمسًا وعشرين درجة، فإن أحدكم إذا توضأ وأحسن الوضوء وأتى المسجدَ لا يريد إلا الصَّلاة، لم يَخْطُ خطوةً إلاَّ رفَعَهُ الله بها درجة، وحَطَّ عنه خطيئة حتى يدخل المسجد، وإذا دَخَلَ المسجد كان فى صلاته ما كانت تحبسه، وتُصلى عليه الملائكةُ مادام فى مجلسه الذى يُصَلِّى فيه، تقول: اللهم اغْفِرْ له، اللهم ارحمه، مالَم يُحْدِثْ».

* عن معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية والناحية، فإياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد»(٣).

---

(١) مجمع الزوائد ١/ ١٣٢.
(٢) أى: تزيد على صلاة الفرد.
(٣) رواه الإمام أحمد.

* عن أبـى هريـرة ـ رضـى الله عنـه ـ أن النبى ﷺ قال: «مَنْ غَدَا إلـى المسجـد أو رَاحَ أعَـدَّ الله لـه فـى الجنـة نُـزلاً كلمـا غـدَا أو راح»[١].

* عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبىَّ ﷺ قال: «مَنْ تطهَّر فى بيته ثم مَضَى إلى بيت من بُيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله كانت خطواته إِحداها تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة»[٢].

* عن بُرَيْدَة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «بَشِّرُوا المشَّائين فى الظُّلَمِ إلى المساجد بالنور التَّامِّ يوم القيامة»[٣].

* عن أُبَىٍّ بن كعب ـ رضى الله عنه ـ قال: كان رجل من الأنصار لا أعلمُ أحدًا أبعد من المسجد منه، وكان لا تُخطئه صلاة، فقيل له: لو اشتريْتَ حمارًا تركبه فى الظلماء وفى الرَّمْضَاء (شدة الحر)، قال: ما يَسُرُّنى أن منزلى إلى جنب المسجد، إنى أريد أن يُكتَبَ لى مَمْشَاىَ إلى المسجد، ورجوعى إذا رجعت إلى أهلى، فقال: رسول الله ﷺ: «قد جمع الله لك ذلك كلَّه»[٤].

* عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال: خَلَتِ البقاعُ حولَ المسجد،

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أبو داود والترمذى.

(٤) رواه مسلم.

فأراد بنو سَلَمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، فقال لهم: «بَلَغَنِي أنكم تُريدون أن تنتقلوا قرب المسجد؟! قالوا: نعم يارسول الله أَرَدْنَا ذلك، فقال: بَنِي سلمة، ديارَكم تُكْتُبْ آثارُكم، ديارَكم تكتُبْ آثارُكم، فقالوا: ما يَسُرُّنا أَنا كنا تَحَوَّلنا»[1].

* عن أبى موسى - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أعظمَ النَّاس أجرًا فى الصلاة أبعدهم إليها مَمْشىً، فأبعدهم، والذى ينتظر الصلاة حتى يصلِّيها مع الإمامَ أعظم أجرًا من الذى يصلى ثم ينام»[2].

* عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المَكَارِه، وكثرة الخُطَى إلى المساجد، وانتظار الصَّلاة بعد الصَّلاة، فذلكمَ الرِّباط، فذلكم الرباط»[3].

* عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال أحدكم فى صلاة ما دامت الصلاة تحبسه، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلاَّ الصلاة»[4].

---

(١) رواه مسلم، والبخارى بمعناه عن أنس.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

(٤) متفق عليه.

* عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**الملائكة تصلى على أحدكم مادام فى مُصَلاَّه الذى صلى فيه، ما لم يُحْدِثْ، تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه**»(١).

* عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ أَخَّرَ لَيْلَةً صلاةَ العشاء إلى شطْر الليل، ثم أقبل علينا بوجهه بعد ما صلى فقال: «**صَلَّى النَّاسَ ورقدوا ولم تزالوا فى صلاة منذ انتظرتموها**»(٢).

* عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: أَتَى النبىَّ ﷺ رَجُلٌ أَعْمَى فقال: يارسول الله، ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد، فسألَ رسولَ الله أن يُرَخِّصَ له فَيُصَلِّيَ فى بيته، فَرخَّصَ له، فلما وَلَّى دَعَاهُ فقال: «**هل تسمعُ النداءَ بالصلاة؟ قال: نعم. قال: فأَجِبْ**»(٣).

* عن أبى سعيد الخدوى ـ رضى الله عنه ـ قال: «خرج معاوية ـ رضى الله عنه ـ على حلقة فى المسجد فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله. قال: آلله ما أجلسكم إلاَّ ذاك؟ قالوا: ما أجْلَسَنَا إلا ذاك. قال: أما إنى لم أستحلفكم تُهْمَةً لكم، وما كان أحد بمنزلتى من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثًا منى، إنَّ رسول الله خرج على حلقة من أصحابه فقال: «**ما أجلسكم؟**

(١) رواه البخارى.
(٢) رواه البخارى.
(٣) رواه مسلم.

قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام وَمَنَّ به علينا. قال: آلله ما أجلسكم إلاَّ ذاك؟ قالوا: آلله ما أجْلسنا إلاَّ ذاك. قال: أمَا إنى لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى: أن الله ـ تعَالَى ـ يُباهِي بكم الملائكة»[1].

* روى الشيخان وأصحاب السنن إلاَّ النَّسَائى من حديث أبى هريرة مرفوعًا، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «صلاة الجماعة تزيد على صلاته فى بيته وصلاته فى سوقه خمسًا وعشرين درجة، فإنَّ أحدكم إذا توضَّأ وأحسن الوضوء، وأتى المسجد لا يريد إلا الصَّلاة، لم يخطُ خطوةً إلا رفعه الله بها درجة، وحَطَّ عنه خطيئةً حتى يدخلَ المسجد، وإذا دَخَلَ المسجدَ كان فى صلاته ما كانت تحبسه (الصلاة)، وتُصَلِّى عليه الملائكة مادام فى مجلسه الذى يُصلى فيه، تقول: اللَّهُمَّ اغفر له، اللَّهُمَّ ارحمه، مالم يُحْدِثْ. (أى تخرج منه رائحة كريهة)».

* عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه كان معتكفًا فى مسجد رسول الله ﷺ فأتاه رجل فسلَّمَ عليه، ثم جلس، فقال له ابن عباس: يافلان أراكَ مكتئبًا حزينًا، قال: نعم يَا بْنَ عَمِّ رسول الله، لفلانٍ عَلَىَّ حقٌّ وَلاء، وحرْمَةِ صاحب هذا القبر ما أقدر عليه، قال ابن عباس: أفَلاَ أكلمه فيه؟ قال: إنْ أحْبَبْتَ، قال: فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد، فقال له الرجل: أنسيتَ

(١) رواه مسلم.

ماكنت فيه؟ قال: لا، ولكنى سمعتُ صاحب هذا القبر والعهد به قريب، ودَمَعَتْ عيناه، سمعته يقول: «مَنْ مَشَى فى حاجَة أخيه كان خيراً له من اعتكافه عشر سنين، ومن اعتكف يومًا ابتغاءَ مَرْضَاة الله جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق، كل خندق أبعد مما بين الخَافقَيْن»(١).

(٥) النهى عن البيع والشراء وإنْشَاد الضَّالّة والكلام فى المسجد:

* عن أبى هريرة أنه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ سَمِعَ رجلاً ينشد ضالَّةً فى المسجد فليقل: لا ردَّهَا الله عليك، فإنَّ المساجد لم تُبْنَ لذلك»(٢).

* وعنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم من يَبيعُ أو يبتاع فى المسجد فقولوا: لا أَرْبَحَ الله تجارتك، وإذا رأيتم من ينشد ضالة فقولوا: لا ردها الله عليك»(٣).

* عن بُرَيْدَة أنَّ رجلاً نَشَدَ فى المسجد فقال: من دعا إلى الجمل الأحمر؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا وَجَدْتَ؛ إنما بُنيت المساجد لما بُنِيَتْ له»(٤).

* عن السَّائب بن يزيد الصحابى ـ رضى الله عنه ـ قال: كنْتُ فى

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذى وقال: حديث حسن.

(٤) رواه مسلم.

المسجد فحصبنى رجل (رمانى بالحَصْبَاء، أى الحجارة) فنظرتُ فإذا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فقال: «اذْهبْ فَأْتِنِى بهذين، فجئتُه بهما، فقال: من أين أنتما؟ فقالا: من أهل الطَّائف، فقال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما فى مسجد رَسُولِ الله ﷺ؟!»(١).

(٦) أخص وظائف المسجد الصلاة، والاعتكاف، وتعلم العلم، ومذاكرته:

* عن أبى واقِد اللَّيْثِىّ ـ رضى الله عنه ـ قال: بينما رسولُ الله ﷺ جالس فى المسجد والناس معه، إذْ أقبل ثلاثة نَفَرٍ، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد، فوقفا على رسول الله ﷺ فأما أحدهما فرأى فُرْجَةً فى الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: **«ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أمَّا أحدهم فآوَى إلى الله ـ عَز وجَلّ ـ فآوَاهُ الله، وأمَّا الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأمَّا الآخر ـ يعنى الثالث ـ فأعرضَ فأعرض الله عنه»**(٢).

* عن عُقْبَة بن عامر ـ رضى الله عنه ـ قال: خرجَ رسول الله ﷺ ونحن فى الصُّفَّة فقال: **«أيُّكم يحب أن يَغْدُوَ كل يوم إلى بُطْحان (اسم مكان) أو العقيق فيأتى بناقتين كَوْمَاوَيْن فى غير إثم ولا قَطْعِ رَحِمٍ؟ فقلنا: يارسول الله كُلُّنا يحب ذلك. قال: أفلا**

(١) رواه البخارى.

(٢) متفق عليه.

يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلَّم أو يقرأ آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل»[١].

* يقول أَنَس - رضى الله عنه -: «إنهم كانوا - يعنى الصحابة - إذا صَلَّوُا الغَدَاةَ قعدوا حِلَقًاحِلَقًا يقرءُونَ القرآن، ويتعلمون الفرائض والسنن»[٢].

* عن صفوان بن عسَّال - رضى الله عنه - قال: أَتَيْتُ النبىَّ ﷺ وهو فى المسجد متكئ على بُرْدٍ أحمر، فقلتُ له: يارسول الله، إنى جئتُ أطلب العلْمَ، فقال: «مرحبًا بطالب العلم، إنَّ طالب العلم تحفُّه الملائكةُ بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضًا حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب»[٣].

* عن عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «عَلِّمُوا ويَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا، وبَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا، وإذا غضب أحدكم فليسكتْ»[٤].

(٧) إشراف النبىّ ﷺ على حلقات العلم بالمسجد:

* روى عبد الله بن عباس وأبو هريرة - رضى الله عنهم - أن النبىَّ

---

(١) رواه مسلم.

(٢) المسجد ودوره التعليمى عبر العصور.

(٣) أخرجه أحمد، والطبرانى، وسنده جيد.

(٤) رواه أحمد، والبخارى فى الأدب المفرد.

ﷺ دخل المسجد فرأى جمعًا من النَّاس على رجل - أى مجتمعين إليه ويستمعون منه - فقال: «ماهذا؟» قالوا: يارسول الله رَجُلٌ عَلاَّمة. فقال: «وما العلاَّمة؟» قالوا: أعلم الناس بأنساب العرب وبالشعر، وبما اختلف فيه العرب. فقال النبىُّ ﷺ: «هذا عِلْمٌ لا يَنْفَعُ وجَهَالَةٌ لا تَضُرّ»(١).

* عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أن النبىَّ ﷺ قال: «إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يسقطُ ورقها، وإنها مثل المسلم، حَدِّثُونى ما هِىَ؟ قال: فوقع الناس فى شَجَرِ البوادى، قال عبد الله: فوقع فى نفسى أنها النخلة، ثم قالوا: حَدِّثْنَا ما هى يارسول الله؟ قال: هى النخلة»(٢).

* عن عبد الله بن عَمْرو - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ مَرَّ بمجلسين فى مسجده، أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون فيما عنده، والآخر يتعلمون فيه الفقه ويُعَلِّمُونه، فقال رسول الله ﷺ: «كلاَ المجلسين خير، وأحدهما أفضل من الآخر، أمَّا هؤلاء فيدعونَ الله ويرغبون إليه، إنْ شاء أعطاهم وإن شاء مَنَعَهُم، وأما هؤلاء فيتعلمون ويُعَلِّمُونَ الجاهلَ، وإنما بُعِثْتُ مُعلِّمًا، ثم أقبل فجلس معهم»(٣).

---

(١) المسجد ودورة التعليمى عبر العصور.

(٢) رواه البخارى.

(٣) رواه أبو داود، وابن ماجه، والدارمى.

(٨) دور الجيران فى محو أُمِّيَّة جيرانهم:

* أخرج البخارى فى صحيحه أنَّ النبىَّ ﷺ خَطَبَ ذات يومٍ فَأَثْنَى على طوائفَ من المسلمين خيرًا، ثم قال:

«ما بال أَقْوَام لا يُفَقِّهُونَ جيرانهم، ولا يُعَلِّمُونَهُم، ولا يُفَطِّنُونَهُمْ، ولا يأمرونهم ولَا يَنْهَوْنَهُمْ؟ وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم، ولا يَتَفَقَّهُون ولا يَتَفَطَّنُون؟ والله لَيُعَلِّمَنَّ أقوامٌ جيرانَهُمْ وَيَعظُونَهُم ويُفقهونهم ويأمرونهم ويَنْهَوْنَهُم، وليتعلمَنَّ قوم من جيرانهم ويتفطنون ويتفقهون، أو لأُعَاجِلَنَّهُمْ بالعقوبة فى دار الدنيا». ثم نزل فدخل بيته، فقال قوم: مَنْ تُراه عَنَى بهؤلاء؟ فقالوا: نراه عَنَى الأشعريين، هم قَوْمٌ فقهاء ولهم جيرانٌ جُفَاة من أهل المياه والأعراب، فبلغ ذلك الأشعريين، فأتوا رسولَ الله ﷺ فقالوا: يارسول الله، ذَكَرْتَ قومًا بخير، وذكرتنا بشَرٍّ، فما بالنا؟ فقال: «لَيُعَلِّمَنَّ قومٌ جيرانَهم وليفقِّهُنَّهُم وليُفَطِّنَنَّهم وليأمرنَّهم ولينهونهم، وليتعلَّمَن قوم من جيرانهم، يتفقهون ويتفطنون، أو لأُعَاجِلَنَّهم بالعقوبة فى دار الدنيا».

قالوا: يارسول الله، أَنُفَطِّنُ غَيْرَنَا؟ فأعاد قوله عليهم، وأعادوا قولهم: أَنُفَطِّنُ غيرنا؟ فقال ذلك أيضًا.

قالوا: فأَمْهِلْنَا سنة؛ ليفقهوهم ويعلموهم ويفطنوهم.

ثم قرأ رسول الله ﷺ قوله الله تعالى:

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[١].

ج) صور من توجيهات النبى ﷺ من رحاب المسجد:

(١) آداب التقاضى:

* عن عبد الله بن سَلاَم ـ رضى الله عنه ـ قال: إنَّ الله ـ عز وجل ـ لما أراد هداية زيد بن سُعَنَة، قال زيد بن سُعَنة: ما من علامات النبوة شىء إلاَّ وقد عَرَفْتُهَا فى وجه محمد ﷺ حين نظرتُ إليه، إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حِلْمه جَهْله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا.

قال زيد بن سُعَنَة: فخرج الرسول ذات يوم من الحُجرات ومعه علىّ بن أبى طالب، فأتاه رجل على راحلته كالبدوى، فقال: يارسولَ الله لى نَفَرٌ فى قرية بنى فلان قد أسلموا ودخلوا فى الإسلام، وكنتُ حَدَّثْتُهُم إذَا أسلموا أتاهم الرزق رغدًا، وقد أصابتهم سَنَةٌ (جَدْبٌ) وشدَّةٌ وقَحْطٌ من الغيث، فأنَا أَخْشَى يارسول الله أن يخرجوا من الإسلام طَمَعًا كما دخلوه طمعًا، فإنْ رأيْتَ أن تُرسل إليهم بشىء تغيثهم به فَعَلْتَ. فنظر رجل إلى جانبه ـ أراه عليًّا ـ فقال: يارسولَ الله ما بقى منه شىء، قال زيد: فدنوتُ إليه،

---

(١) سورة المائدة: ٧٨، ٧٩.

فقلت: يامحمد، هل لك أن تبيعنى تمرًا معلومًا فى حائط (بستان) فلان إلى أجَلٍ معلوم؟ إلى أجَلٍ كذا وكذا؟ قال: لا تُسَمِّ حائط بنى فلان - لأن هذا الشرط يُفسد العقد حيث يفضى إلى المنازعة - قلت: نعم. فبايعنى، فأطلقت هِمْيَانى (أى كيس نقودى الذى أَضَعُهُ فى حزامى) فأعطيتُه ثمانين مثقالاً من ذهب فى تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا، فأعطاه الرجل: فقال: «**اعْدِلْ عليهم وأغِثْهُمْ**».

قال زَيْد بن سعَنة: فلما كان قبل محل الأَجَلِ بيومين أو ثلاثة خرج رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر وعثمان - رضى الله عنهم - فى نفرٍ من أصحابه، فلما صَلَّى على الجنازة ودنا إلى الجدار ليجلس إليه أتيتُه فأخذتُ بمجامع قميصِه وردائه ونظرتُ إليه بوجه غليظ، وقلت له: يامحمد، ألا تَقْضِينِى حقى؟ فوالله ما علمتُ بنى عبد المطلب إلا مُطُلاً (يماطلون فى دَفْعِ الحقِّ) ولقد كان لى بمخالَطتِكُمْ عِلْم. ونظرتُ إلى عُمر وعيناه تدوران فى وجهه كالفلك (قطعة المغزل تدور بسرعة) المستدير، ثم رمانى ببصره فقال: يا عبد الله، أتقول لرسول الله ﷺ ما أَسْمَعُ، وتصنع به ما أَرَى؟ فوالذى نفسى بيده لولا ما أُحاذِرُ فوتَه لضربتُ بسيفى رأسَك، ورسول الله ﷺ ينظر إلىَّ فى سُكون وتُؤَدَةٍ، فقال: «**ياعمر: أنا وهو كُنَّا أَحْوَجَ إلى غيرِ هذا: أنْ تأمرنى**

بِحُسْنِ الأَدَاء وتَأمُرَهُ بِحُسْنِ اتّبَاعه، اذهبْ يا عمر فَأَعْطِه حَقَّهُ وَزِدْهُ عشرين صاعًا من تمر مكان مَا رُعْتَهُ».

قال زيد: فذهب بى عمر فأعطانى حَقِّى وزادنى عشرين صاعًا من تمر، فقلت: ما هذه الزيادة يا عمر؟ قال: أَمَرنِى رَسُولُ الله ﷺ أن أزِيدَكَ مكان ما رُعْتُكَ، قال: قلت: وتعرفنى ياعمر؟ قال: لا. قلت: أنا زيد بن سُعَنَة. قال: ما الخبر؟ قلت الخبر. قال: فما دَعَاكَ إلى أَنْ فَعَلْتَ برسول الله ما فَعَلْتَ؟ وقُلْتَ له ما قلت؟ قلت: ياعمر لم يكن من علامات النبوة شيء إلاّ وقد عَرَفْتُهُ فى وجه رسول الله ﷺ إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حِلْمُهُ جَهْلَه، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا. وقد اخبَرْتُهُمَا، فأُشْهِدُكَ يا عمر أنى قد رضيتُ بالله رَبًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، وأُشْهِدُكَ أَنَّ شَطر مالى ـ فإنى أكثرها مالاً ـ صَدَقَةٌ على أُمَّة محمد ﷺ قال عمر: أَوْ على بعضهم؛ فإنك لا تسعهم، قلت: أَوْ على بعضهم.

فرجع عُمَرُ وَزَيْدٌ إلى رسول الله ﷺ فقال زيد: أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. وآمَنَ بِهِ وصَدَّقَهُ وبايَعَهُ، وشَهِدَ معه مَشَاهِدَ كثيرة(١).

---

(١) رواه الطبرانى، ورجاله ثقات، ورَوَى ابن ماجه منه طرفًا. وانظر: الوعى الإسلامى ـ العدد ٣٤٢ ـ يوليو ١٩٩٤م، ص ٤١ ، ٤٢.

(٢) تعليم السلوك الفاضل وإعلاء قيمة الإنسان:

* عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قام أعرابى فَبَالَ فى المسجد، فَتَنَاوَلَهُ النَّاس، فقال لهم النبىُّ ﷺ: «**دَعُوه، وهَريقُوا عَلَى بَوْله سَجْلاً من ماء، أو ذَنُوبًا**[١] **من ماء، فإنَّما بُعِثْتم مُيَسِّرِين، ولم تُبْعَثوا مُعَسِّرِينَ**»[٢].

* عن أبى أُمامة - رضى الله عنه - أنَّ فَتىً شابًّا أَتَى النبىَّ ﷺ فقال: يارسول الله ائْذَنْ لى فى الزِّنَى!!

فأقبل القوم فَزَجَرُوهُ، وقالوا: مَهْ!!؟ (أَىْ: ماهذا الذى تقول؟!). قال النبى ﷺ: «أُدْنُه» (أى: اقترب مِنِّى) فَدَنَا منه قريبًا، قال: فجلس.

قال النبى: «**أَتُحِبُّه لا بْنَتِكَ؟**».

قال الفتى: لا، جَعَلَنِى الله فِدَاءَكَ.

قال النَّبِىُّ: «**ولا النَّاسُ يُحبونه لبناتهم**».

قال النَّبِىُّ: «**أتحبه لأختك؟**».

قال الفتى: لا والله، جعلنى الله فِدَاءَكَ.

قال النَّبِىُّ: «**ولا الناس يُحبونه لأخواتهم**».

---

(١) السَّجْلُ: الدَّلْو، والذَّنُوب أيضًا مثله، وتُطلق على الدَّلْوِ العظيمة.

(٢) فتح المبدى بشرح مختصر الزبيدى.

قال النَّبِىُّ : «**أفتحبه لعمتك؟**».

قال الفتى: لا والله، جعلنى الله فداءك.

قال النَّبِىُّ : «**ولا الناس يحبونه لعماتهم**».

قال النَّبِىُّ : «**أفتحبه لخالتك؟**»

قال الفتى: لا والله، جعلنى الله فداءك.

قال النَّبِىُّ : «**ولا الناس يُحبونه لخالاتهم**».

قال: فوضع النبى ﷺ يده عليه وقال: «**اللَّهُمَّ اغفرْ ذَنْبَهُ، وطَهِّرْ قلبه، وحَصِّنْ فَرْجَه**».

فلم يكن بعدها ذلك الفتى يلتفتُ إلى شىء[١].

٣- إنزال الناس منازلهم:

* عن أبى راشد بن عبد الرحمـٰن ـ رضى الله عنه ـ قال: قَدِمْتُ على النبىِّ ﷺ فى مائة رجل من قومى، فلما دَنَوْنَا من النبىِّ ﷺ وقفنا وقالوا لى: تَقَدَّمْ أَنْتَ يا أبا معاوية، فإنْ رَأَيْتَ ما تحبُّ رَجَعْتَ إلينا حتى نتقدَّمَ إليه، وإن لم تَرَ شَيْئًا انْصَرَفْتَ إلينا حتى ننصرف. فأتيتُ النبىَّ ﷺ وكنت أصْغَرَ القوم، فقلتُ: أنْعِمْ صباحًا يا محمد. فقال النبىُّ ﷺ: «**ليس هذا بسلام المسلمين بعضهم على بعض**». فقلت له: وكيف يارسول الله؟

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده: ٥/٢٥٦.

فقال: «إذا أتَيْتَ قومًا من المسلمين قُلْتَ: السَّلامُ عليكم ورحمة الله». قال: السَّلامُ عليكَ يارَسُول الله ورحمته وبركاته. قال: «ماَ اسْمُكَ؟ ومَنْ أنت؟». فقلت: أنا أبو معاوية بن عبد اللاَّتِ والعُزَّى. فقال لى رسولُ الله ﷺ: «بل أنت أبو راشد بن عبد الرحمـٰن»، وأَكْرَمَنِى وأجْلَسَنِى إلى جانبه، وكَسَانى وأعطانى حذاه (حزام النبى أو نعله)، ودَفَعَ إلىَّ عَصَاه، وأسْلَمْتُ، فقال للنبىِّ ﷺ مِنْ جُلسائه: يارسول الله، إنَّا نراكَ قد أكْرَمْتَ هذا الرجل، فقال رسول الله ﷺ: «هذا شريفُ قومٍ، فَإِذَا أتاكُم شريف قومٍ فأكرموه»(١).

هذه باقة من الأخبار النبوية، ومن رحاب مسجد رسول الله ﷺ تُرينا تَصَرُّفَ رسول الله ﷺ بالأسلوب الأمثل، وبما يتناسب مع كل موقف، فهو يرشد إلى علاج أهم القضايا وأخطرها على النحو التالى:

- يحث الجيران المثقفين على مَحْوِ أُمِّيَّةِ جيرانهم الجهلاء، ويرى ذلك واجبًا عليهم يستحق النكير. كما يرشد الجيران الجهلاء إلى الانصياع لتلقِّى العِلْم من جيرانهم، وحسن الاستفادة منهم، ومعلوم أن ذلك يحتاج فترة زمنية حتى يعطى أطيب الثمرات.

---

(١) حياة الصحابة للكاندهلوى، والدولابى فى الكُنَى (١/ ٣١)، وانظر الوعى الإسلامى - عدد ٣٤٢، ص ٤٣.

فلو أخذ المسلمون اليوم بهذه الوصية النبوية لساهمت كثيراً فى القضاء على الأُمِّيَّة الدينية والثقافية، ولَحَمَتْهُمْ من تُجَّار التعليم.

ـ **يعطينا صورة رائعة لآداب التقاضى، ويرفع كرامة الإنسان فوق كل اعتبار.**

ـ **تعليم السلوك الفاضل والترفُّق بمن يَصْدُرُ منه مُخالفة عَفْوِيَّة، كذلك الأعرابى الذى تبوَّل فى المسجد.**

ـ **الترفق بذلك الشاب الذى جاء يطلب السماح له بالزِّنَى ظَانـًّا أنَّ الرسول ﷺ يملك ذلك، فَأَخَذَ يُناقشه حتى اقتنع بأَن ذلك لا يصح طبعًا أو شرعًا، بدليل أن الناس ـ كُلَّ الناس ـ لا يُحِبُّونَه لِذَوِيهِمْ، ثم دَعَا له بالعفاف.**

ـ **التنبيه إلى حُسن اختيار الأسماء، وإِن اقْتَضَى ذلك تغيير الأسماء القبيحة بأخرى أحسن منها، وفيه أيضًا التنبيه إلى اللياقة الاجتماعية، بأن نحفظ لأشراف الناس منازلهم، ونُعاملهم بلياقة وكياسة.**

(٢) عناية الإسلام بالمسجد عمليـًّا:

نستطيع أن ندرك عناية الإسلام بالمسجد فى الناحية العملية بتوضيح ما يلى:

حِرْصُ النبيِّ ﷺ على تشييد المسجد:

لقد بدأ النبيُّ ﷺ استهلال وجوده فى المدينة ببناء المسجد، لكى يؤكد للمسلم بالعمل المادى الملموس، والواقع الفعلى المحسوس، أن هذا البناء يتجاوز ما تقع عليه العين من حيز يشغله فى أديم الأرض، ويبلغ فى آثاره الإعدادية والتنظيمية أعماق المجتمع الإسلامى العتيد، وينفذ بهذه الآثار إلى كل فرد مسلم فى عملية تغيير جذرية، بحيث يتحول مع الإسلام إنسانًا جديدًا، ليس فيه من رواسب الجاهلية ما يشده إلى الضلال القديم من قريب أو من بعيد، وقد تمثل اهتمام النبىّ ﷺ فى هذا الشأن فيما يلى:

بناء مسجد قُبَاء:

قباء ضاحية من ضواحى المدينة المنورة، وكانت تقع على بُعْد ثلاثة كيلو مترات من المدينة، وكان يقيم بها قبيلة تُدعى «بنى عمرو ابن عوف»، وهم بطن من بطون الخزرج، إحدى قبائل الأنصار، وقد وصَلَ إليها النبىُّ ﷺ فى طريق هجرته من مكة، ونزل بها يستريح بعض الوقت من وعثاء السفر، وينفض عن كاهله ما لاقاه خلال هذه الرحلة من جهد ونَصَب، حيث لم يُلْق عَصَا التَّسْيَار بعد، وقد تجلى حرصه الشديد على بناء المسجد وتأسيسه منذ أول لحظة أوشك فيها أن يكون للإسلام دَارٌ ودولة، فشرع على الفور فى بناء مسجد قباء، ليكون محلاً لإقامة الشعائر فى هذا الحى، بل ليكون

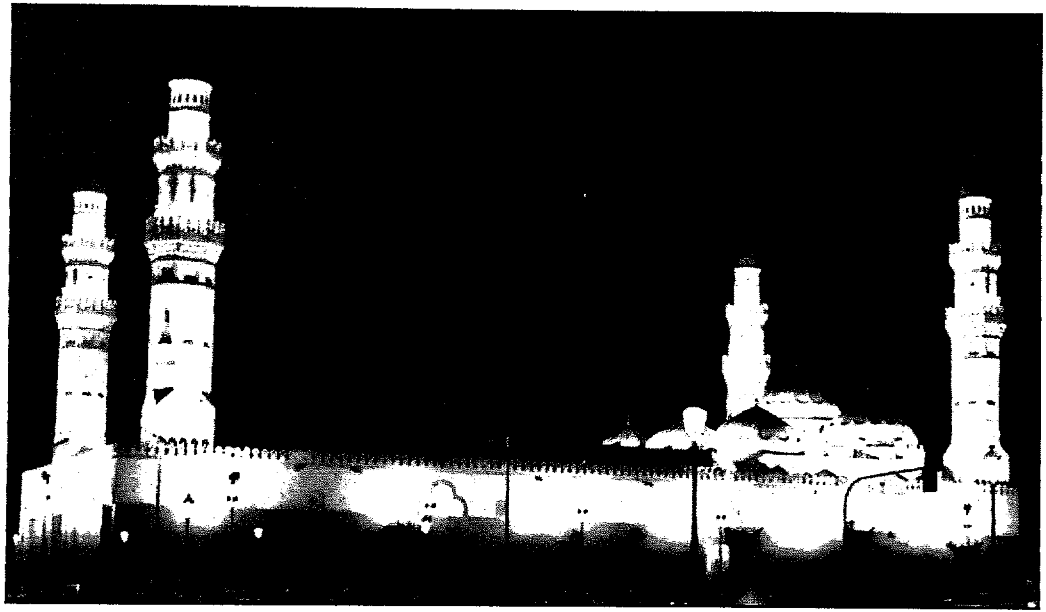
أوَّلَ مسجدٍ بُنِىَ فى الإسلام، كما ظل هذا المسجدُ ـ فضلاً عن كل هذا ـ شرفًا لأهل هذا الحى.

بناء المسجد النبوى الشريف:

وعندما نزل رسول الله ﷺ المدينة: وألقى بها عصا التَّسْيَارِ عَمِلَ منذ اللحظات الأولى على بناء مسجده الشريف، فى البقعة التى بَرَكَتْ فيها ناقتهُ القصواء، حيث استخار الله واستشاره قائلا: «**اللهم خِرْ لِى واخْتَرْ لى**»، وقال أيضًا: «**ها هنا المنزل إن شاء الله**»، ولقد ظَلَّ سبعة أشهر ضيفًا على أبى أيوب الأنصارى، وفى داره، ظل يُشْرِفُ خِلاَلَ هذه المدة على تأسيس هذا المسجد الشريف وإقامته.

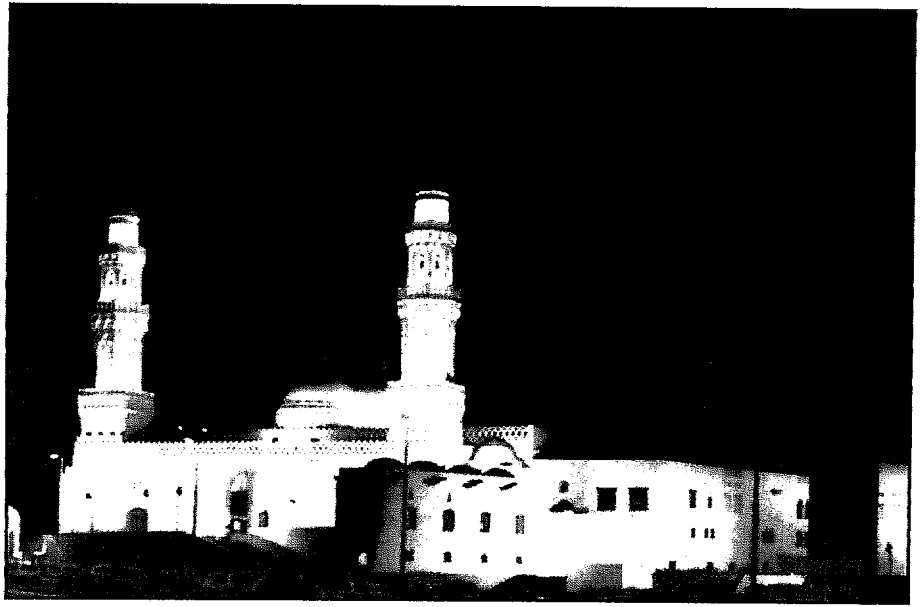
وقد بُنِىَ هذا المسجد بناءً متواضعًا، فكانت جُدرانُهُ من الطوب اللَّبِن (النِّئ)، وأعمدته من جذوع النخل، وسقفه من جريد النخل وسَعَفِه، ولكنه على بساطته هذه قد خرَّج للدنيا السادة والرَّادَةَ والقادةَ، بل خَرَّج المصلحين الكبار، والفاتحين العظام، الذين غَيَّرُوا التاريخ، فنشروا ألوية الهداية والعرفان فى كل مكان، على أساس من العقيدة الصحيحة والإيمان الصادق، وأعادوا للدنيا إِشْرَاقَةَ الأمل، وَصَبَاحَةَ الوجه من جديد.

وكيف لا يكون هذا المسجد الشريف كذلك وقد بنى بتوجيه النبى الأمين ﷺ وتحت إشرافه؟! كما شاركت فى إعلائه وعمارته السواعدُ



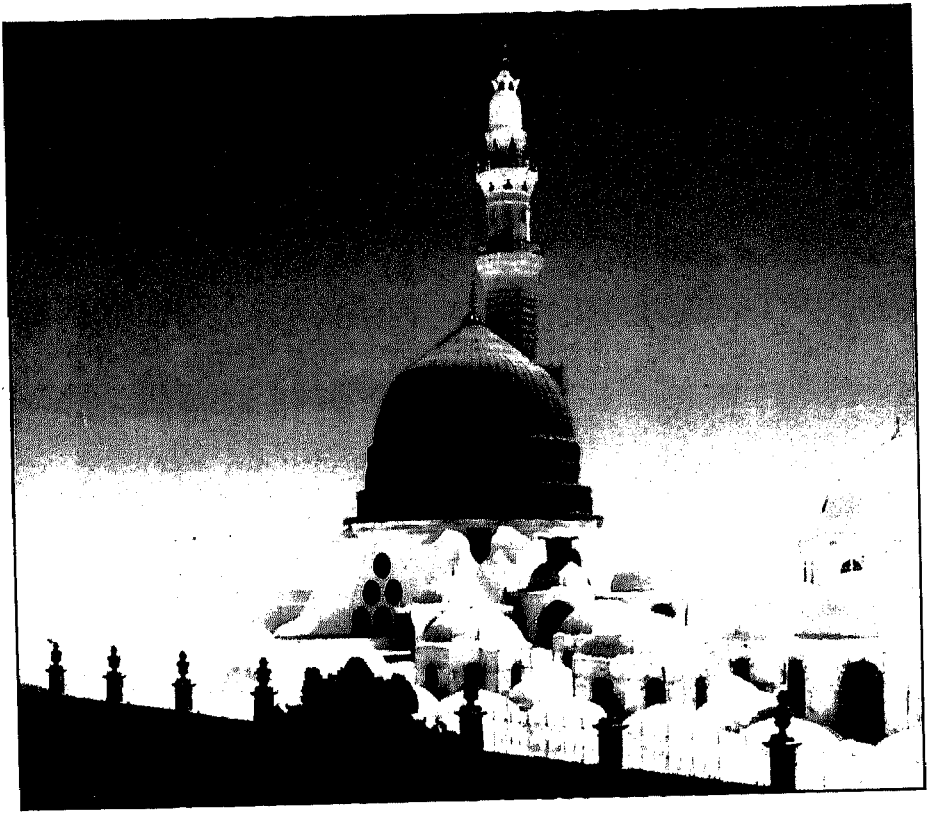
(شكل (٣) :

صورة لمسجد قباء بعد الانتهاء من أعمال
التوسعة والتجديد في عهد خادم الحرمين
الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز



(شكل (٤) :

صورة لمسجد القبلتين بعد الانتهاء من توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبد العزيز.



(شكل (٥) :
صورة للقبة النبوية الشريفة بالمسجد النبوي بالمدينة

المؤمنةُ، التى يرجو أصحابها اللهَ والدَّارَ الآخِرَة، فكيف لا يكون كذلك؟!.

وقد كان موضوع الدرس الأول فيه «الحب والإخاء».. فقد آخى رسولُ الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، بأن جعل لكل أنصارىٍّ أخًا من المهاجرين، وقال لهم: «**تآخَيَا فى الله أخويْن أخَوَيْنِ**»، وعقد بينهم علاقةً متينةً من الأُخُوَّة الصَّادقة، التى اتَّسَمت بالمحبة والإيثار، ولم تشهد الدنيا لها مثيلاً، وبمقتضاها أصبح المجتمع الإسلامى فى المدينة نسيجًا مُوحَّدًا متميزًا سُدَاهُ الأنصار، ولُحْمتُه المهاجرون، بل وتحققت فيهم وحدة المشاعر ووحدة الوجدان، حتى ليصدق عليهم قول رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ المؤمنين فى تَوَادِّهم وتعاطُفِهم وتراحُمِهم كَمَثَلِ الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عُضْوٌ تَداعَى له سائر الأعضاء بالسَّهَر والحمى**». وحتى ليصدق عليهم قول الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[1].

إنها أنفسٌ صاغها الإسلام من جديد، وربَّاها رسول الله ﷺ على عينه لتمثل الطلائع الأولى للفتح، ولتكون النموذج الجيد للأمة الإسلامية حينما تختلط عليها الحقائق وتضطرب أمامها الأمور.

---

(١) سورة الحشر: ٩.

رابعًا: معلومات هامة عن المسجد النبوى الشريف وتطوره:

١- هو من أفضل المساجد:

* عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: **«أنا خاتم الأنبياء، ومسجدى خاتم مساجد الأنبياء، أَحَقُّ المساجد أن يُزَار وتُرْكَبَ إليه الرَّوَاحل، وصلاة فى مسجدى هذا أفضل من الصلاة فيما سواه من المساجد إلاَّ المسجد الحرام»**.
* أخرج مسلم فى صحيحه فى كتاب الحج، أن النبى ﷺ قال: **«صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلاّ المسجد الحرام»**.
* عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلاَّ لثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى»**(١).
* عن سهل بن سعد ـ رضى الله عنه ـ أن النبىَّ ﷺ قال: **«من دَخَلَ مسجدى هذا يتعلَّم خيرًا أَوْ يُعلمه كان بمنزلة المجاهد فى سبيل الله، ومن دخله لغير ذلك من أحاديث الناس كان كالذى يرى ما يعجبه وهو لغيره»**.

٢- تأسيسه متواضع:

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث أنس بن مالك، أن النبى ﷺ لما أخذ المَرْبِدَ من بنى النجار كان فيه نخلٌ وقبور

(١) أخرجه البخارى.

المشركين وَخِرَبٌ (خرائب)، فأمر النبى ﷺ بالنخل فقطع، وبقبور المشركين فَنُبِشَتْ، وبالخرائب فَسُوِّيَتْ، قال: فَصَفُّوا النخل قِبْلَةً لَهُ، وجعلوا عُضَادَتَيْه حِجَارَةً.

وبنى النبى ﷺ مسجده مُرَبَّعًا، وجعل قبلته إلى بيت المقدس، وطوله سبعون ذراعًا أو يزيد، وجعل له ثلاثة أبواب: بابًا فى مؤخره، وباب عاتكة، وهو باب الرحمة، والباب الذى كان يدخل منه النبى ﷺ وهو باب عثمان.

ولما صُرِفت القبلة إلى الكعبة سَدَّ النبى ﷺ الباب الذى كان خلفه وفتح الباب الآخر حذاءه، فكان المسجد له ثلاثة أبواب: باب خلفه، وباب عن يمين المصلِّى، وباب عن يساره، وجعلوا أساس المسجد من الحجارة وبَنَوْا باقيه مِنَ اللَّبِنِ. وفى الصحيحين: كان جدار المسجد عند المنبر ما كادت الشاة تجوزه.

وقالت عائشة: كان طول جدار المسجد بسطة، وكان عرض الحائط لبنة لبنة. ثم إن المسلمين كثروا، فبنوه لبنة ونصفًا ثم قالوا: يارسول الله لو أمرت فَزِيدَ فيه؟ قال: «نعم» فأمر به فزيد فيه، وبنى جداره لبنتين مختلفتين، ثم اشتد عليهم الحر فقالوا: يارسول الله لو أمرت بالمسجد فَظُلِّلَ؟ قال: «نعم» فأمر به فأقيم له سوارى من جذوع النخل، شقة ثم شقة، ثم طُرِحَت عليها العوارض والخصف والإذْخر، وجعل وسطه رحبة، فأصابتهم الأمطار، فجعل المسجد

يَكفُ عليهم[1] فقالوا: يارسول الله لو أمرت بالمسجد يعمر؟ فَطُيِّنَ[2]، فقال لهم: «**عريشٌ كعريش موسى، ثُمَامٌ[3] وخُشَيْبَاتٌ والأمر أعجل من ذلك**». فلم يزل كذلك حتى قُبضَ ﷺ. ويُقال: إن عريش موسى عليه السلام كان إذا قام أصاب رأسَهُ السقفُ.

٣- أقوال أهل السير عنه:

بَنَى النبى ﷺ مسجده مرتين: بناه حين قَدِمَ المدينة، وكان أقل من مائة فى مائة، فلما فتح الله عليه خيبر بناه وزَادَ عليه فى الدور مثله.

وصلى النبى ﷺ فيه متوجهًا إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا، ثم أُمِرَ بالتحول إلى الكعبة، فأقام رهطًا على زوايا المسجد ليعدل القبلة فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يارسول الله، ضَعِ القبلة وأنت تنظر إلى الكعبة، ثم قال بيده هكذا، فأماط كُلَّ جبل بينه وبينها، فوضع القبلة وهو ينظر إلى الكعبة لا يحول دون نظره شيء، فلما فرغ قال جبريل: هكذا، فأعاد الجبال والشجر والأشياء على حالها، وصارت قِبْلَتُهُ إلى الميزاب.

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: كانت قِبْلَة النبى ﷺ

---

(١) يكف عليهم: يسيل ويقطر الماء.

(٢) طُيِّنَ: جُصِّصَ بالطين ليمنع هطول المطر على المصلِّين.

(٣) الثمام: نبات فروعه مزدحمة متجمعة يصل طوله إلى ١٥٠سم.

الشام، وكان مُصَلاَّهُ الذى يصلى فيه بالناس إلى الشام من مسجده موضع الأسطوانة المخلفة اليوم خلف ظهرك، ثم تمشى إلى الشام، حتى إذا كنت بين باب آل عثمان كانت قبلته فى ذلك الموضع(١).

ونحن نرى من هذا السرد التاريخى أن المسجد النبوى المبارك لم يكن يشتمل على مئذنة ولا محراب، فقد كان بلال يصعد إلى مكان مرتفع ليؤذِّن فوقه، أو يصعد إلى سطح منزل لآل النجار مجاور للمسجد، ولقد استمر المسجد على حاله هذه حتى توفى رسول الله ﷺ فى يوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول عام ١١ هجرية، والذى يوافق يونيو ٦٣٢ ميلادية.

٤- توسيعات المسجد النبوى:

لقد طرأت على المسجد النبوى توسيعات وإضافات اقتضتها كثرة عدد المسلمين، ومحاولات إضفاء الجودة على تأسيسه كنوع من التنافس فى هذا المجال، ونحن نشير إلى هذه التوسيعات بإيجاز فيما يلى:

(أ) زيادة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فى المسجد النبوى:

روى البخارى فى صحيحه من حديث عبد الله بن عمر، أن المسجد كان على عهد النبىِّ ﷺ مبنيًّا باللَّبِن والجريد، وعُمُده

(١) انظر شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للفاسى، جـ٢ ص ٣٥٥ وما بعدها.

خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئًا، وزاد فيه عمر وبناه على بنائه فى عهد النبى ﷺ باللَّبِن والجريد، وأعاد عُمُدَهُ خَشبًا. وروى أهل السير أن عمر ـ رضى الله عنه ـ قال: لولا أنىِّ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إنى أزيد فى المسجد مازدتُ فيه.

وعن مسلم بن خَبَّاب أن النبى ﷺ قال يومًا وهو فى مُصَلاَّه: «لو زِدْنَا فى مسجدنا ـ وأشار بيده نحو القبلة» فلما تُوفى عليه السلام وَوَلِىَ عمر بن الخطاب قال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: لوزدنا فى مسجدنا وأشار بيده نحو القبلة. فأجلسوا رجلاً فى موضع مصلى النبى، ثم رفعوا يد الرجل وخفضوها حتى رأوا أن ذلك نحو ما رأوا أن النبى رفع يده، ثم مُدَّ، ووضعوا طرفه بيد الرجل، ثم مَدُّوهُ، فلم يزالوا يقدمونه ويؤخرونه حتى رأوا أن ذلك شبيه بما أشار رسول الله به من الزيادة، فقدم عمر القبلة، فكان موضع جدار عمر فى موضع عيدان المقصورة.

قال أهل السيرة: كان بين المنبر وبين الجدار الذى كان على عهد رسول الله بقدر ما تمرُّ شاة، فأخذ عمر إلى موضع المقصورة وزَادَ فيه، وزَادَ فى يمين القبلة، فصار طولُه أربعين ومائة ذراع، وسَقَّفَهُ جريدًا ذراعين، وبَنَى فوق ظهر المسجد سترة ثَلاثة أَذْرُع، وبَنَى أساسه بالحجارة إلى أن بلغ قامةً، وجعل له ستة أبواب: بابين عن يمين القبلة، وبابين عن يسارها، ولم يغير باب «عاتكة» ولا الباب

الذى كان يدخل منه النبى ﷺ وفتح بابًا عن دار مروان بن الحكم، وفَتَح بابين فى مؤخرة المسجد.

وعن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه، أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أرادَ أن يهدم دارًا للعباس بن عبد المطلب كانت بقرب المسجد ليزيدها فى المسجد وقال: بِعْنيها. فَأَبَى العباس أن يبيعه إياها، فأراد عمر أَخْذَهَا منه وإدخالها فى المسجد وقال: ذلك أَرْفَقُ بالمسلمين. فقال له العباس: حَكِّمْ بينى وبينك فى ذلك، فجعلا بينهما أُبَىَّ بْنَ كَعْب، فقال: إِنِّى أُحَدِّثُكُمَا حديثًا سمعتُه من رسول الله ﷺ قال: «**إن داودَ النبى أراد بنيان بيت المقدس، وكانت أَرْضُهُ لرجل فاشتراها سليمان منه، فلما باعه الرجل إياها قال الرجل: ما أخذت منى خيرٌ أم ما أعطيتنى؟ قال: بل ما أَخَذْتُ. قال: فإنى لا أُجيز، فَناقَضَهُ البيعَ. ثم اشتراها ثانيةً، فقال له: ما أخذتَ منى خيرٌ أم ما أعطيتنى؟ فقال: بل ما أخذتُ منك. قال: إنى لاأُجيز، فناقضه البيع، ثم اشتراها الثالثة، فصنع مثلَ ذلك، فقال له سليمان: أشتريها منك بحكمك على أَلاَّ تسألنى، قال: فاشتراها بحكمه، فاحتكم شيئًا كثيرًا اثْنَى عَشَرَ قنطارًا ذهبًا، فاستعظم سليمانُ، فأوحى الله إليه: إنْ كنت تعطيه من رزقنا فَأَعْطه حتى يرضى، وإنْ كنت تعطيه من عندك فذلك لك**»، وَعَمَّ النبى العَباس إنْ شاء بَاعَها وإن شاء تركها.

قال العباس: أمَا إذْ قضيتَ فيَّ فقد جعلتها للمسلمين.

كما اشترى عمر نصف موضع كان النبي ﷺ قد خَطَّه لجعفر بن أبي طالب وهو في الحبشة ليتخذه دارًا، اشتراه عمر بمائة ألف، فزاده في المسجد، كما فرشه بالحصباء والحصى المجلوب من وادي العقيق.

ب) زيادة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ للمسجد النبوي:

ذكر أهل السير: أن عثمان ـ رضي الله عنه ـ لما ولي الخلافة سنة أربع وعشرين للهجرة سأله الناس أن يزيد في مسجدهم، وشكوا إليه ضيقه يوم الجمعة، حتى إنهم ليصلون في الرحاب، فشاور فيه عثمان أهل الرأي من أصحاب رسول الله ﷺ فاجتمعوا على أن يهدمه ويزيد فيه، فصلى الظهر بالناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إني قد أردتُ أن أهدم مسجد رسول الله ﷺ وأزيد فيه، وأشهد أني لَسَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**من بنى مسجداً بنى الله ـ تعالى ـ له بيتًا في الجنة**»، وَقَدَرٌ أن لي فيه سلفًا، والإمام عمر بن الخطاب زاد فيه وبناه، وقد شَاوَرْتُ أهل الرأي من أصحاب رسول الله ﷺ على هدمه وبنائه وتوسعته. فَحَسَّنَ الناس ذلك، ودعوا له، فأصبح فدعا العُمَّال وباشَرَ ذلك بنفسه، وكان رجلاً يصوم النهار ويقوم الليل، وكان لا يخرج من المسجد، فهدمه وأمر بالقصة المنخولة (أي الجير)، وكان عمله في أول ربيع الأول

سنة تسع وعشرين، وفرغ منه حين دخلت السنة لهلال المحرم سنة ثلاثين، فكان عمله عشرة أشهر، وبناه بالحجارة المنقوشة والقَصَّة وخشب النخل والجريد، وبيضه بالقصَّة، وزاد فيه من القبلة وبَنَى مقصورة الإمام، وجعل أعمدة المسجد حجارة منقوشة فيها أعمدة الحديد، وفيها الرصاص، وَسَقَفَه بخشب الساج، وأصبح المسجد بمساحة طولها مائة وستون ذراعًا، وعرضه مائة وخمسون ذراعًا. ومات عثمان بن عفان - رضى الله عنه - وليس للمسجد شُرُفات ولا محراب.

ج) زيادة الوليد بن عبد الملك:

وقد ذكر أهل السِّير أن الوليد بن عبد الملك لما استعملَ عمر بن عبد العزيز على المدينة أمره بالزيادة فى المسجد وبنيانه، فقام عمر بهدم المسجد وتوسعته وإعادة بنائه، وقد بدأ الهدم فى شهر صفر عام ٨٨هـ - يناير ٧١٧م، وانتهى البناء الجديد فى عام ٩١هـ - ٧١٠م.

وقد أُقيم فى هذه العمارة لأول مرة فى المسجد النبوى مآذن، ومحراب، وشُرفات، كما عمل الأساس من الحجر، وأقيمت الجدران والأعمدة من قطع الحجارة المنحوتة التى تم رَبْطُ بعضِها ببعضٍ بالحديد المغطى بالرصاص المصهور، وأقيمت الأعمدة على قواعد مربعة، وتيجان مُذَهَّبة، وتم سقف المسجد بخشب السَّاج، وقد تكلفت هذه العملية المعمارية الممتازة خمسة وأربعين ألف دينار.

(د) توسعة الظاهر بيبرس:

قام الظاهر بيبرس بتجديد المسجد النبوى عقب الحريق الأول الذى لم يسلم منه شىء فى المسجد إلاَّ الحجرة النبوية والقبة، فقام بإعادة بناء المسجد على نفس الهيكل، وأضاف إليه مئذنة عالية، كما أرسل منبرًا جديدًا من الخشب صنعه سنان باشا التركى، كما أقام مقصورة من الخشب أيضًا.

هـ) إصلاحات قايتباى:

قام السلطان قايتباى بإصلاحات فى المسجد بعد الحريق الثانى الذى شَبَّ فيه بسبب صاعقة أصابت المئذنة الجنوبية الشرقية الرئيسية فى ١٣ من رمضان ٨٨٦هـ، الموافق ٥ من نوفمبر ١٤٨١م، فأعاد عمارة المسجد وتسقيفه ووضَعَ له محرابًا.

و) إصلاحات السلطان محمود الثانى العثمانى:

اهتم السلطان محمود الثانى العثمانى بإعادة بناء القبة التى بُنيت فى عهد قايتباى لحدوث تشققات بها، فهدمها وأقام قبة جديدة غُطيت بالرصاص، وطُليت باللون الأخضر.

ز) توسعة السلطان عبد المجيد:

أجرى السلطان عبد المجيد أكبر عمارة فى المسجد، وعمل الأعمدة من الرخام المزركش المزين بماء الذهب، وأضاف للأبواب بابًا جديدًا هو الباب المجيدى، وأقيمت المئذنة الجديدة بدلاً من المئذنة الخشبية.

٥- إضافات لازمة لرسالة المسجد:

ونحن نرى من خلال هذه الجولة السريعة أن المسجد النبوى الشريف قد حدثت فيه إضافات وإضافات، تبعًا لاختلاف الأزمنة، ونظرًا لحاجة الناس إليها، ومن ذلك على سبيل المثال ما يلى:

(أ) اتخاذ الجذع للخطبة:

فلم يكن للمسجد منبر فى بدء الأمر وإنما كان النبى ﷺ يخطب على جذع نخلة.

(ب) اتخاذ المنبر:

لما كثر الناس، اتخذ رسول الله ﷺ منبرًا من أعواد الطَّرْفَاء، وقد صنعه له غُلام نجَّار كانت تملكه إحدى سيدات المدينة، وقد قيل: إن الرسول ﷺ هو الذى طلب منها ذلك، وقيل إنها هى التى عرضت على النبى ذلك.

وقد رُوى عن أبى حازم بن دينار: أن رجالاً أتوا سَهْلَ بن سعد السَّاعدى وقد امْتَرَوْا فى المنبر مِمَّ عوده؟ فسألوه عن ذلك، فقال: والله إنى لأعرف مِمَّ هو، ولقد رأيته أول يوم وُضع، وأول يوم جلس عليه النبى ﷺ، أرسل رسول الله ﷺ إلى فلانة (امرأة قد سَمَّاها): «مُرِى غُلامَك النجارَ أن يعمل لى أعوادًا أجلس عليهن إذا كلمتُ الناسَ»، فأمَرَتْه فعملها من طَرْفَاء الغابة، ثم جاء بها، فأرسلتْ إلى رسول الله ﷺ فأَمَرَ بها فَوُضِعَتْ ها هنا، ثم رأيت

رسول الله ﷺ صَلَّى عليها وكَبَّرَ وهو عليها، ثم ركع وهو عليها، ثم نزل القهقرى فسجد فى أصل المنبر، ثم عاد، فلما فرغ أقبل على الناس فقال: «**أيها الناس إنما صنعتُ هذا لتأتموا بى، ولتعلموا صلاتى**»(١).

وقد روى فى اتخاذ رسول الله ﷺ المنبر حديث آخر عن الطفيل ابن كعب، عن أبيه، قال: كان النبى ﷺ يصلى إلى جذع إذْ كان المسجد عريشًا، وكان يخطب إلى ذلك الجذع، فقال رجل من أصحابه: يارسول الله، هل لك أن نجعل لك منبرًا تقوم عليه يوم الجمعة، وتُسْمِعُ النَّاسَ يومَ الجمعة خُطْبَتَك؟ قال: نعم. فصنع له ثلاث درجات هى على المنبر، فلما صنع المنبر ووضع موضعه الذى وضعه فيه رسول الله ﷺ، وبدأ رسول الله أن يقوم فيخطب عليه، فلما جَازَ (تجاوزَ) الجذعَ الذى كان يخطب إليه خَارَ حتى تصدَّع وانشق، فنزل النبى ﷺ لما سمع صوت الجذع، فمسحه بيده ثم رجع إلى المنبر»(٢).

ولا تعارضَ بين الحديثين، لجواز أن يكون أصحاب النبى ﷺ قد أشاروا عليه باتخاذ المنبر، ثم أمر هو تلك المرأة التى غلامها نجار أن تكلف هذا الغلام بعمل المنبر، فالحديثان يكملان بعضهما فى سرد قصة المنبر واتخاذه.

(١) رواه البخارى بشرح العينى.
(٢) عمدة القارى جـ ١ ص ٢١٥.

قال الصنعانى: وهذا المنبر عُمِلَ له ﷺ سنة سبع، وقيل: سنة ثمان من الهجرة، عمله له غلام امرأة من الأنصار، كان نجارًا، واسمه على أصح الأقوال «ميمون».

قال العينى: ثم اعلم أن المنبر لم يزل على حاله ثلاث درجات حتى زاده مروان فى خلافة معاوية ست درجات من أسفله، وكان سبب ذلك ما حكاه الزبير بن بكار فى أخبار المدينة، بإسناده إلى حميد بن عبد الرحمٰن بن عوف، قال: بعث معاوية إلى مروان وهو عامله على المدينة أن يحمل المنبر إليه، فقطع، فأظلمت المدينة، فخرج مروان فخطب فقال: إنما أمرنى أمير المؤمنين أن أرفعه، ودَعَا نجارًا، وكان ثلاث درجات، فزاد فيه الزيادة التى هو عليها اليوم، أى فى زمن حياة حميد بن عبد الرحمٰن بن عوف.

قال ابن النجار وغيره: استمر على ذلك إلاَّ ما أُصلح منه، إلى أن احترق مسجد المدينة سنة ٦٥٤ فاحترق.

ج) اتخاذ المنارة أو المئذنة:

لم يكن للمسجد مآذن، وإنما كان الأذان يُرْفَعَ من فوق سطح دار مجاورة للمسجد من دور الأنصار، أو من فوق مكان مرتفع، واستمر ذلك حتى خلافة عثمان ـ رضى الله عنه ـ فجعل موضعه على الزوراء، وهى مكان مرتفع كالمنارة فى سوق المدينة، وقيل: إنها حجر مرتفع عند باب المسجد.

وعن السائب بن يزيد ـ رضى الله عنه ـ قال: كان النداء يوم

الجمعة أَوَّلَهُ إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر، فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء.

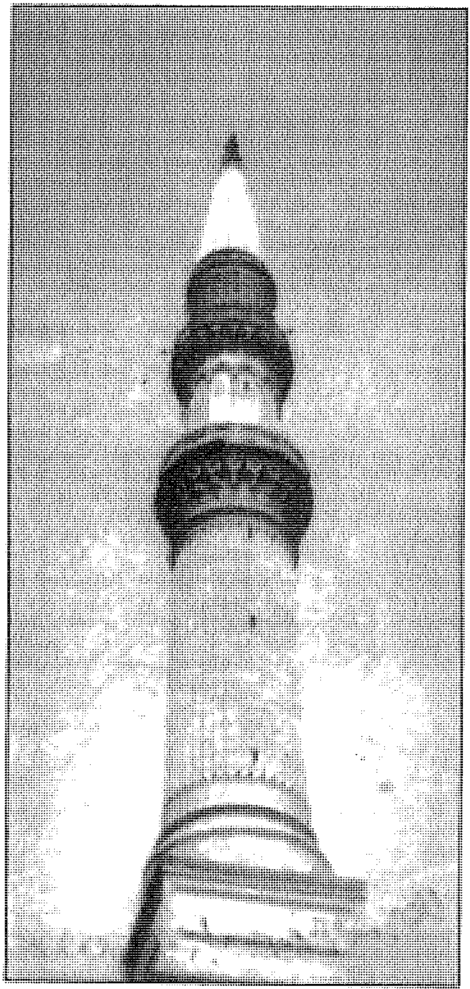
وللمآذن عدة تسميات بعدة اعتبارات، وهى:

* **المئذنة:** وذلك نظرًا لأن الأذان وهو الإعلام بدخول وقت الصلاة يُرفع من فوقها.
* **المنـارة:** وذلك نظرًا لأنه كانت تُرفع القناديل والمصابيح عليها لكى يهتدى بها السائرون ليلاً، وبخاصة فى المدن الساحلية، ولكى يهتدى إلى المسجد الذين لا يسمعون الأذان، والبعيدون عن المسجد، والغُرَبَاء ليلاً، كما يعرف بها بدء الإفطار والإمساك فى شهر رمضان.
* **الصومعة:** وهى المآذن الكبيرة التى كان العُبَّاد يتخذونها أماكن للاعتكاف والخلوة والعبادة.

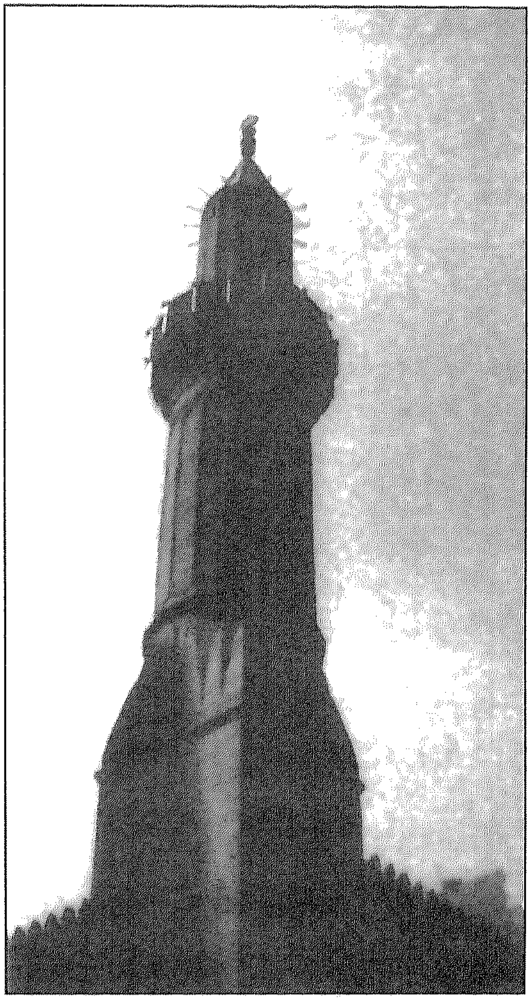
وكان أول استخدام للمئذنة على أنها صومعة فى مسجد عمرو ابن العاص - رضى الله عنه - بمدينة القاهرة، فى عهد «مسلمة بن مخلد الأنصارى».

د) اتخاذ المحراب:

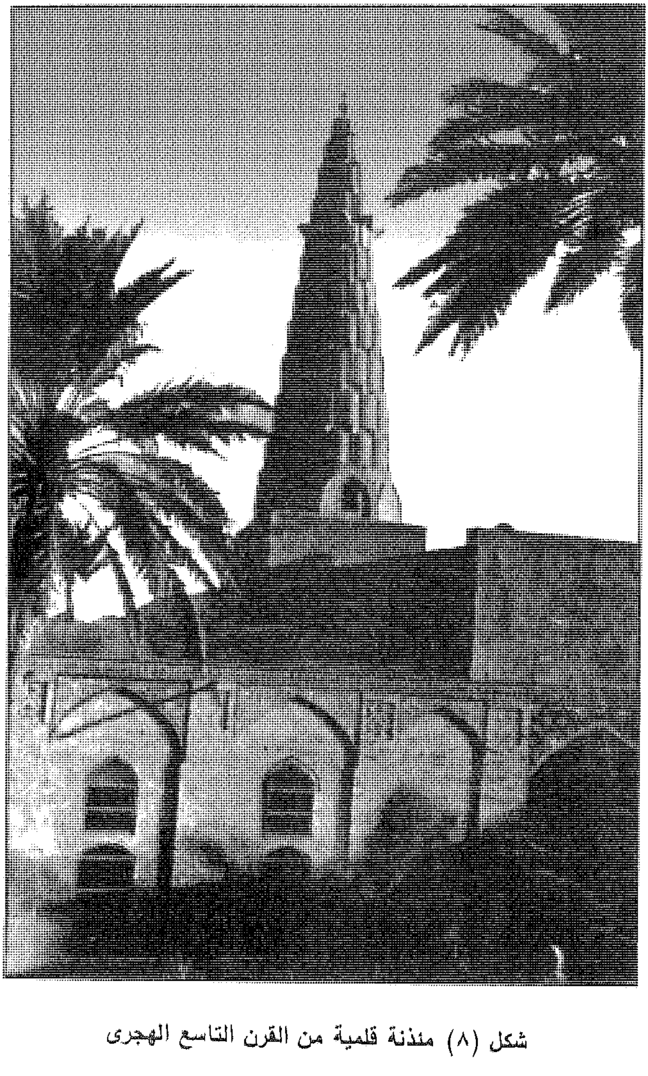
ولم يكن لمسجد رسول الله ﷺ محراب، وإنما الذى استحدث المحراب هو الخليفة عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - ويقع المحراب فى الجهة التى بها قبلة المسجد، ويقع المنبر عن يمين



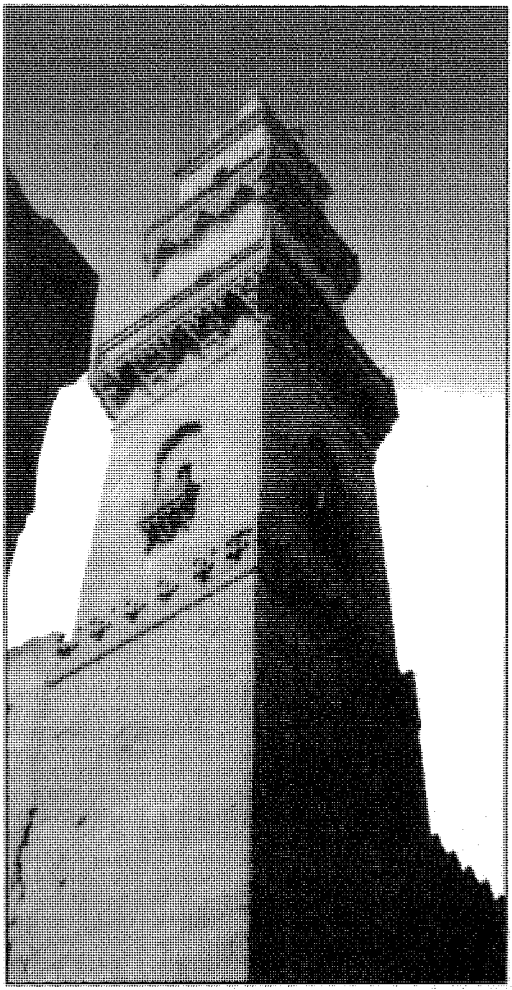
شكل (٦) المئذنة القلمية بمسجد الإمام الحسين بالقاهرة



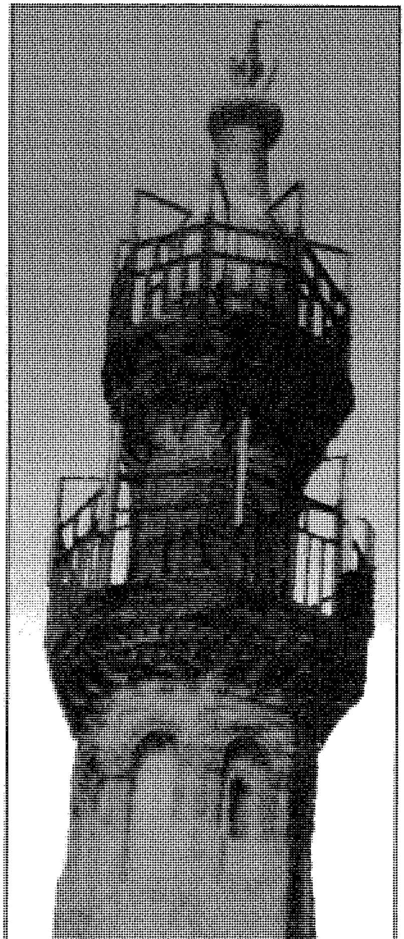
شكل (٧) مئذنة مسجد عثمان كتخدا (الكخيا)
وهى مئذنة أسطوانية تنتهى على شكل المسلة .



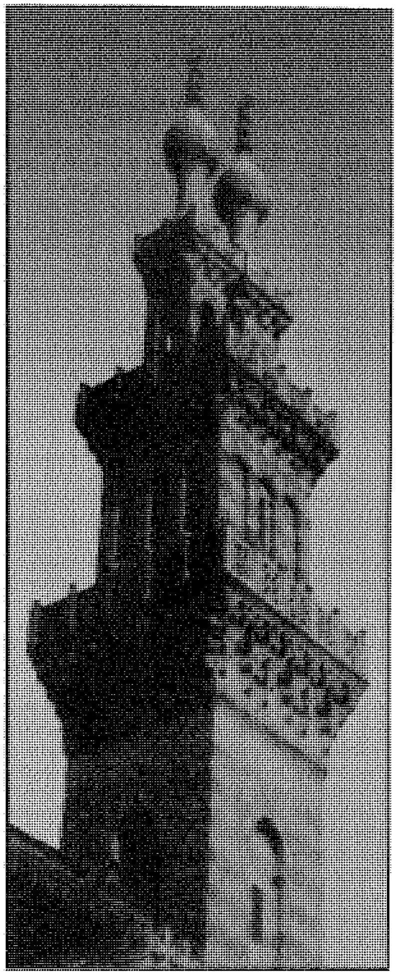
شكل (٨) مئذنة قلمية من القرن التاسع الهجرى



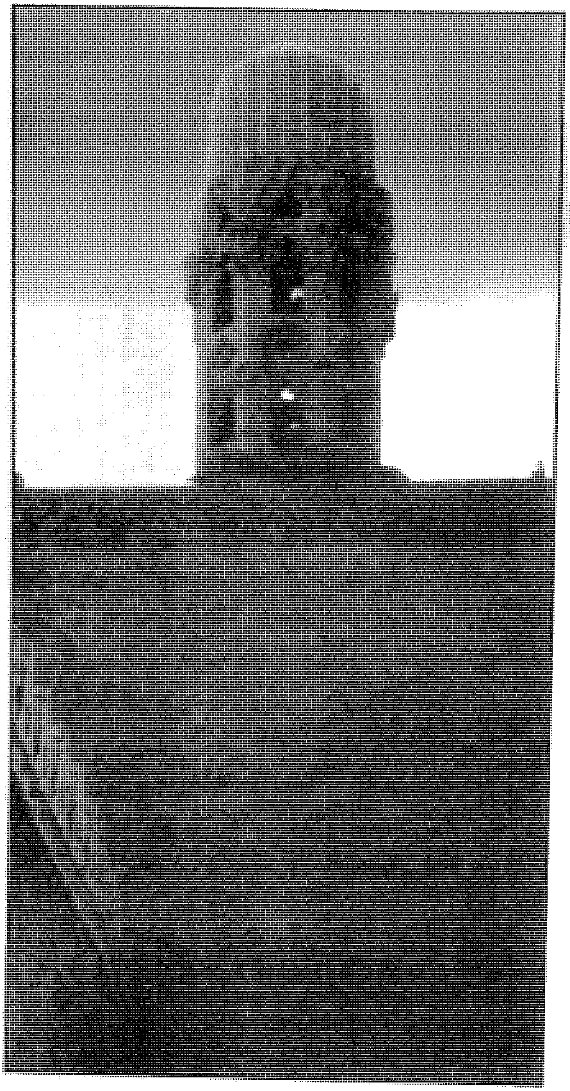
شكل (٩) مئذنة قبة الغورى ذات القاعدة المربعة
والقمة التى تنتهى بخمسة رءوس



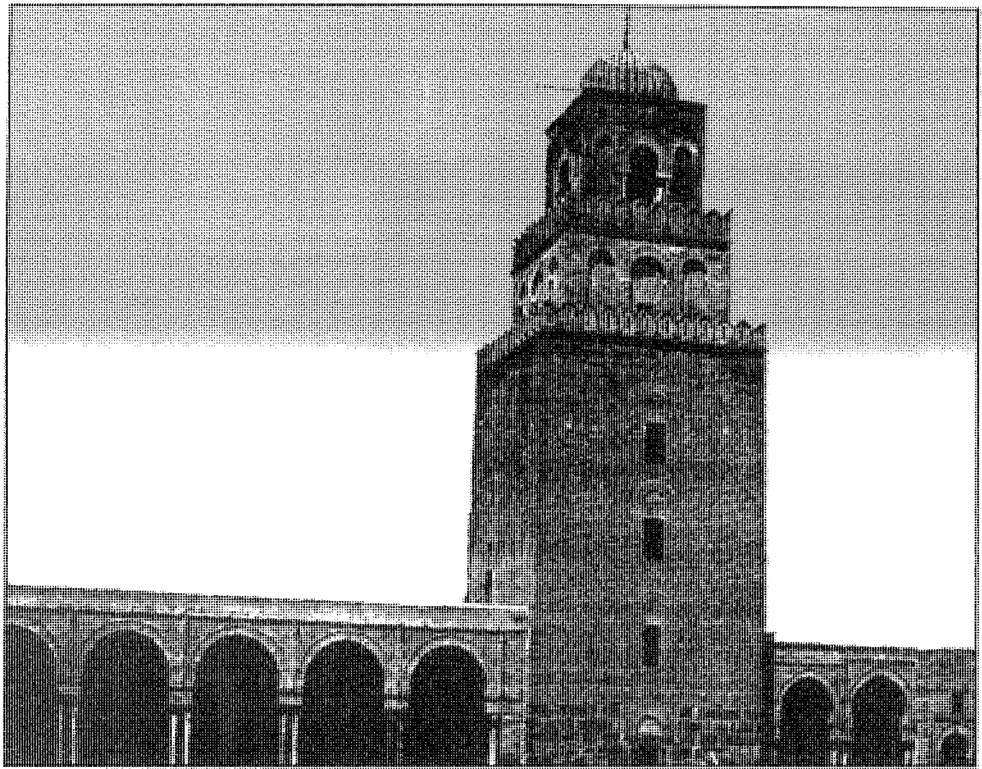
شكل (١٠) مئذنة مسجد جوهر اللّالا



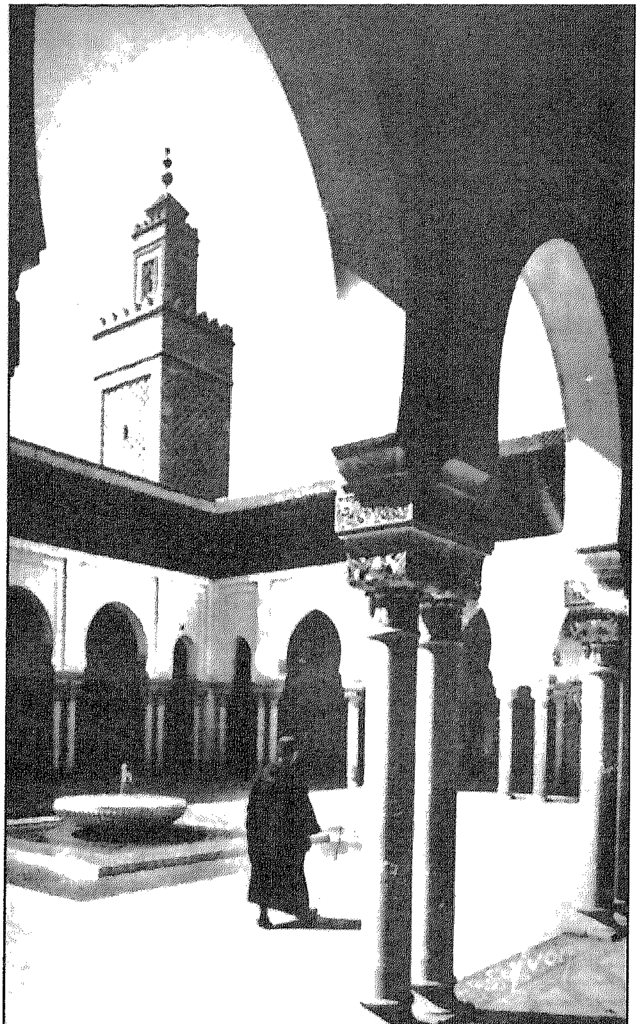
شكل (١١) مئذنة مسجد قانى باى الرَّمَّاح
وهى مئذنة ذات رأسين.



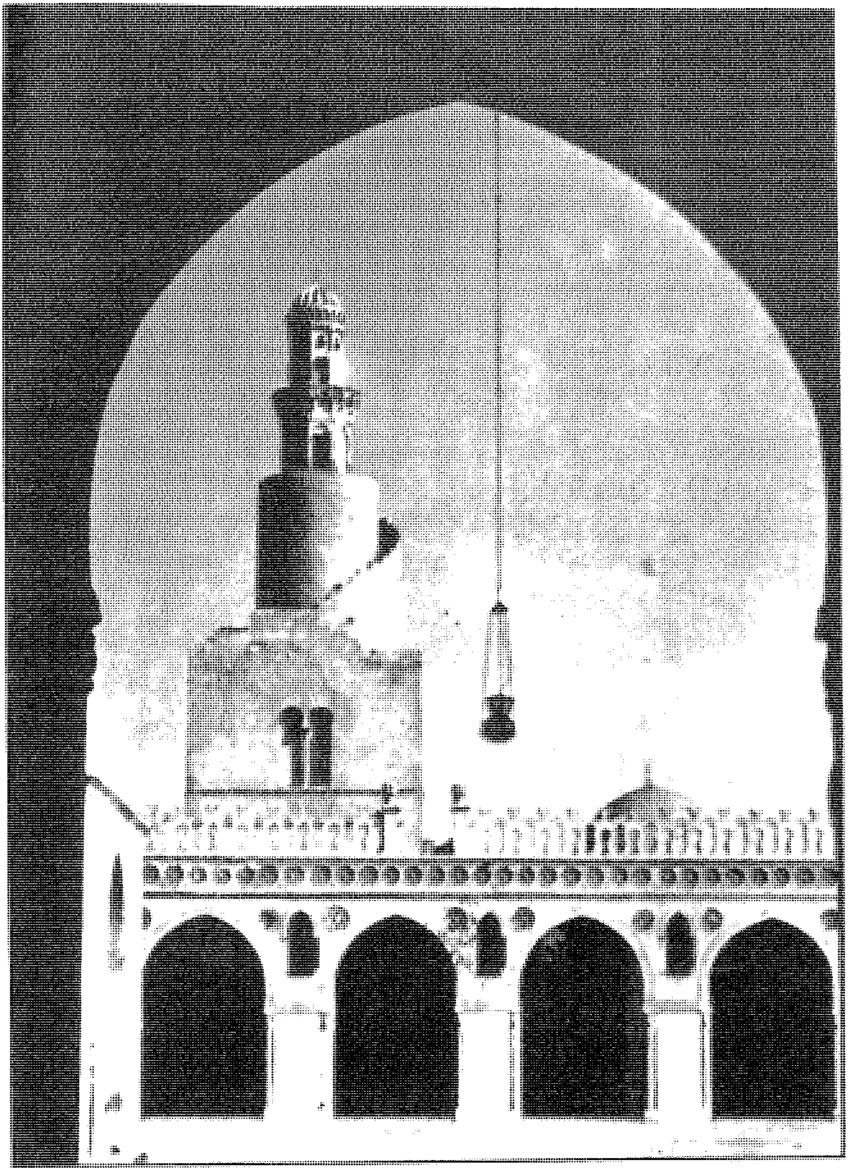
شكل (١٢) مئذنة جامع الحاكم التى تنتهى بمثمن
ويقع المسجد بجوار باب الفتوح.



شكل (١٣) مئذنة مسجد عقبة بن نافع بالقيروان ، وتبدو أشبه ببرج حقيقى وقد شيد المسجد فى عام ٥٥ هـ - ٦٧٥م.



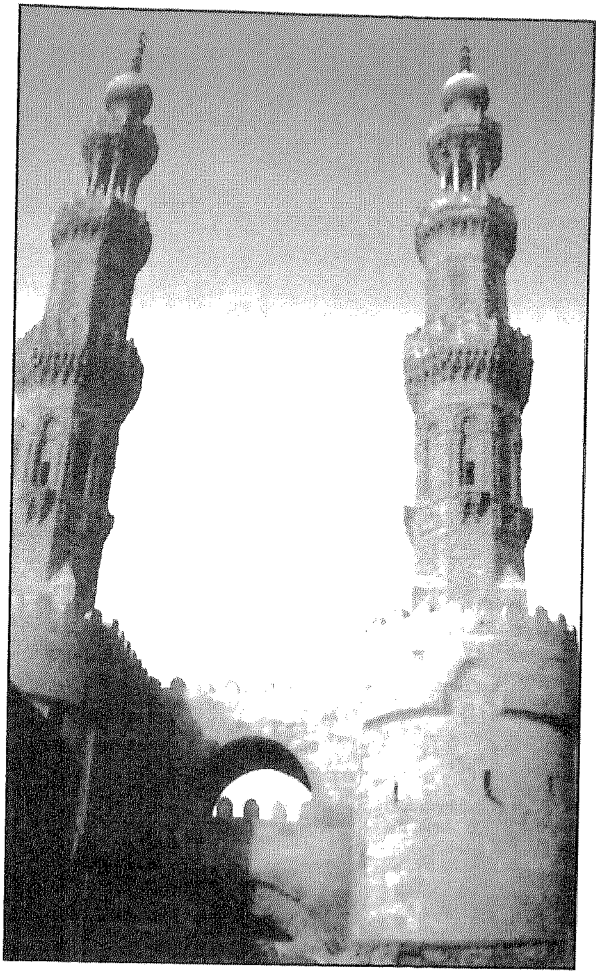
شكل (١٤) مئذنة مسجد باريس، وهى من الطراز المغربى الأندلسى فى العصر الحديث.



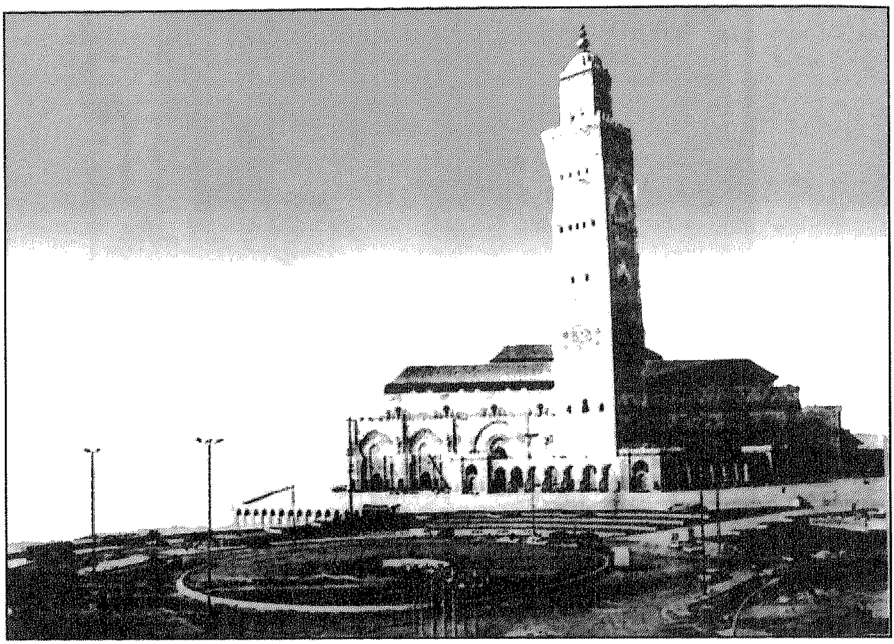
شكل (١٥) مئذنة مسجد أحمد بن طولون المئذنة الملوية.



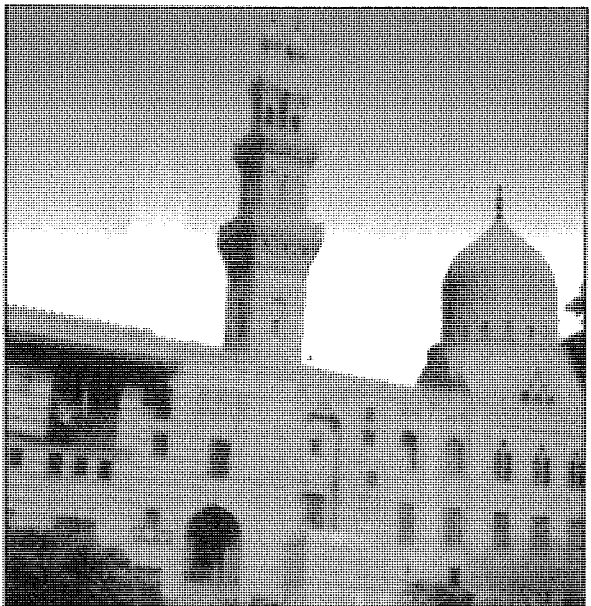
شكل (١٦) منظر داخلى للمسجد الجامع بسامراء بالعراق وتظهر به المئذنة الملوية
شيده الخليفة المتوكل فى القرن الثالث الهجرى
ـ التاسع الميلادى ـ برأس مال قدره عشرة ملايين درهم.



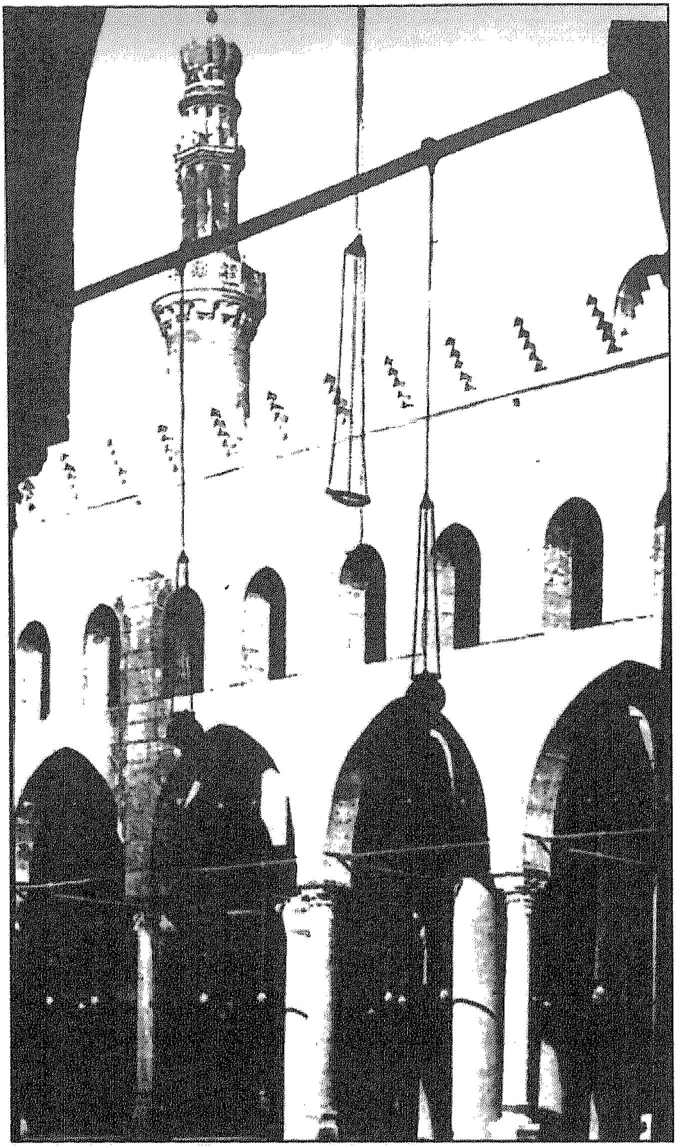
شكل (١٧) منظر عام لمسجد السلطان المؤيد شيخ بالقاهرة.
وقد تم إنشاؤه فى القرن التاسع الهجرى - الخامس عشر الميلادى.



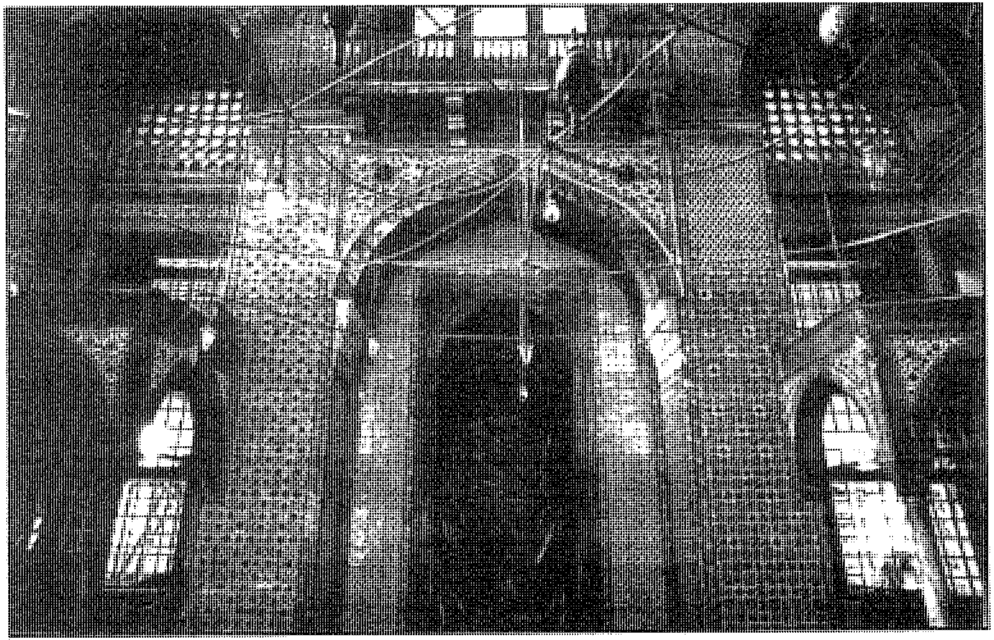
شكل (١٨) مسجد الحسن الثانى بالدار البيضاء من روائع العمارة فى العصر الحديث، ويتسع لمائة وخمسين ألفاً من المصلين.



شكل (١٩) مسجد قانى باى الرمّاح، القبة حُليت بالزخارف النباتية والهندسية.



شكل (٢٠) مسجد الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة، وأنشيء فى القرن الثامن الهجرى - الرابع عشر الميلادى.



شكل (٢١) مسجد رستم باشا باستنبول ـ منظر داخلى ـ أحد آيات الفن الخزفى العثمانى ـ تم تأسيسه فى القرن العاشر الهجرى ـ السادس عشر الميلادى.

المحراب، وقد تتعدد المحاريب بالمسجد الواحد، إشارة إلى التَّوَسُّعَاتِ والإضافات، وتخليداً لذكر مؤسِّسيها، رجاء الدعاء لهم، والثواب من الله تعالى.

هـ) بيت الصلاة:

ويُطلق هذا الاصطلاح على رواق القبلة الذى به المحراب والمنبر.

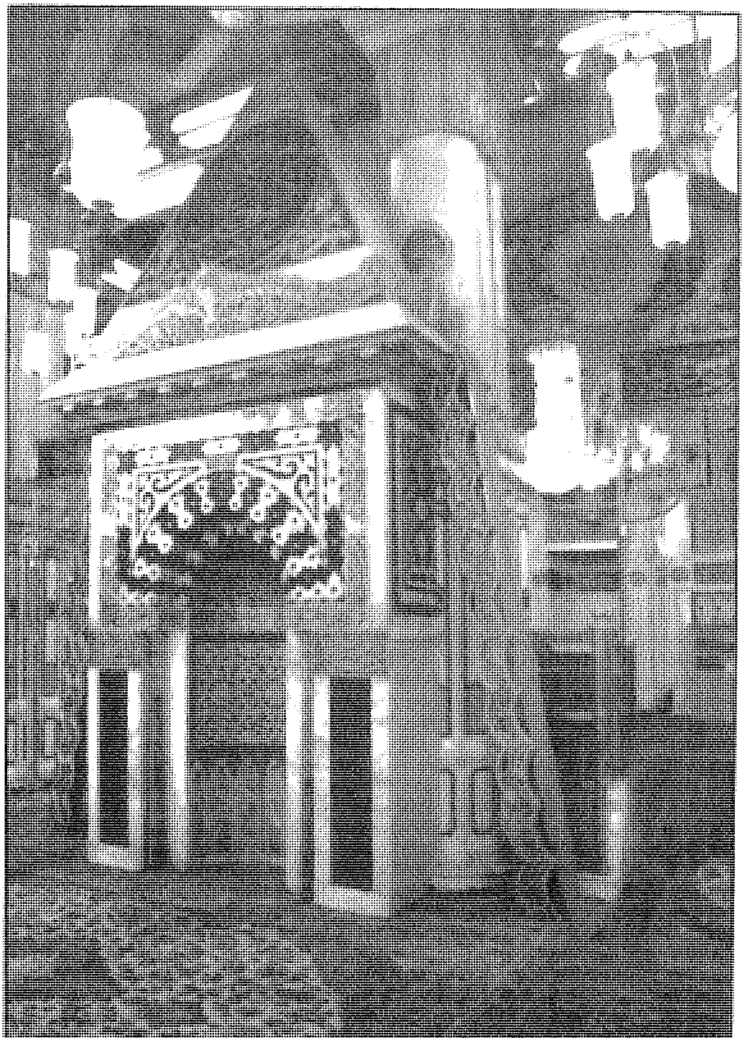
و) القباب:

عبارة عن أشكال هندسية جمالية، ولها فائدة عظيمة فى التهوية والتكييف، وتختلف القباب تبعًا للطراز المعمارى المتبع.

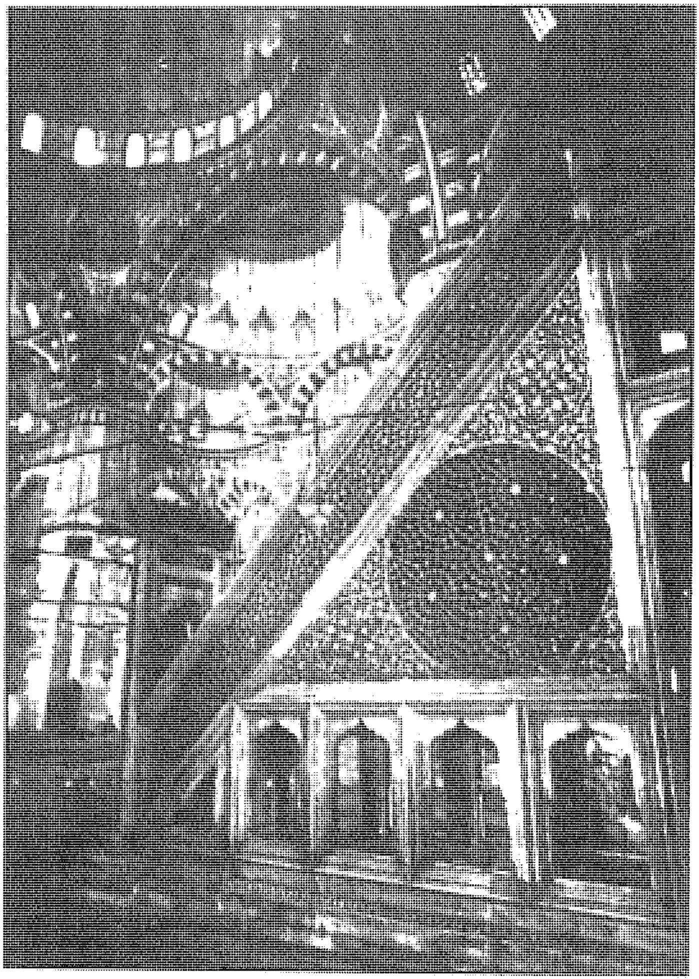
٦- أحكام تتعلق باتخاذ المنبر:

اتخاذ المنبر للخُطَب عَمل مشروع، يدور حكمه بين الاستحباب والسنة، لا يعدوهما، فقد قال العينى فى حديث سهل: فيه استحباب اتخاذ المنبر لكونه أبلغ فى مشاهدة الخطيب والسماع منه، فإن لم يكن منبر فموضع عالٍ، وإلاَّ فإلى خشبةٍ للاتباع، فإنه ﷺ كان يخطب إلى جذع قبل اتخاذ المنبر.

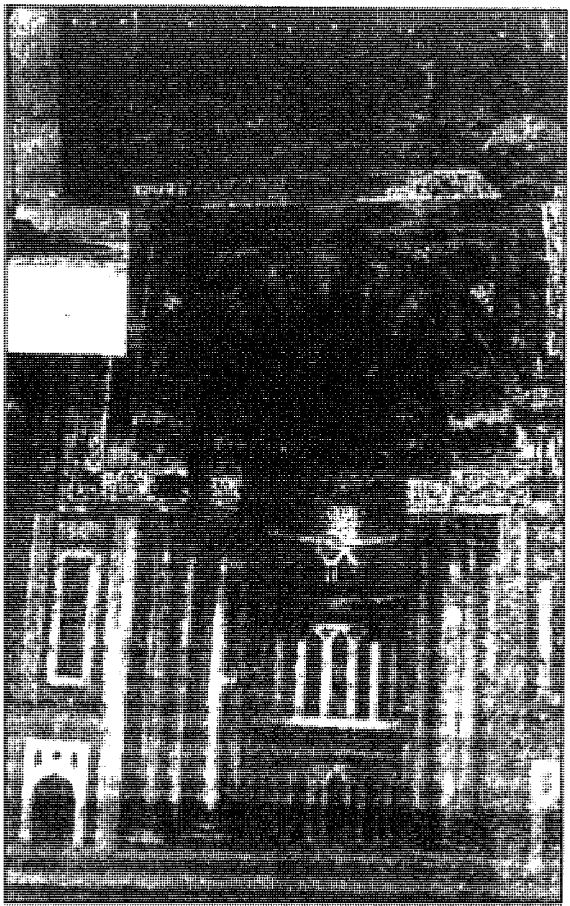
وقال النَّوَوِىُّ تعليقًا على مارواه عبد الله بن عمر وأبو هريرة: إنهما سَمِعَا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره: «**لينتهين أقوام عن وَدْعِهِمُ الجماعات، أو ليَخْتِمَنَّ الله على قلوبهم، ثم ليكونُنَّ من الغافلين**»: إن فيه استحباب اتخاذ المنبر، وهو سُنَّة مجمع عليها.



شكل (٢٢) محراب النبى ﷺ



شكل (٢٣) جامع شاه زاده في أسطنبول شيده سنان باشا
فيما بين عامى ٩٥٠ - ٩٥٦هـ/ ١٥٤٣-١٥٤٩م
منظر داخلى للمنبر وللقبة التى تغطى بيت الصلاة



شكل (٢٤) محراب مسجد السلطان حسن.

٧- أهم الكوارث الطبيعية التي حدثت للمسجد النبوى:

أ) الحريق الأول:

أصاب المسجد النبوى حريق مُرَوِّعٌ إِثْرَ وقوع زلزال فى أعقاب الهجوم التترى على بغداد، فتهدم المسجد، وتلفت الأبواب والنوافذ والخزائن، والكتب، وكسوة الحجرة الشريفة، والمنبر، والمقاصير، ولم يسلم إلاَّ الحجرة النبوية والقبة فى وسط الصحن، وقد كانت تلك القبة مخصصة لحفظ الذخائر، وبقيت أعمدة المسجد تتمايل مع الريح بعد سقوط السقف، فعمل الظاهر بيبرس المملوكى - حاكم مصر - على إعادة بناء المسجد على نفس الهيكل، وأُضيفت مئذنة عالية، كما أرْسَلَ منبرًا جديدًا للمسجد، وأقام مقصورة من الخشب. وكان ذلك الحريق فى عام ٦٥٤هـ -١٢٥٦م.

ب) الحريق الثانى:

وقد شَبَّ حريق ثانٍ بالمسجد النبوى بسبب صاعقة أصابت المئذنة الجنوبية الشرقية الرئيسية، وكان ذلك فى ١٣ من رمضان ٨٨٦هـ - ٥ نوفمبر ١٤٨١م - فأعاد السلطان «قايتباى» عمارة المسجد وتسقيفه، وصنع له محرابًا.

٨- التوسيعات السعودية للمسجد النبوى:

أ) توسعة الملك عبد العزيز آل سعود:

بدأت هذه التوسعة فى ١٢ من شعبان ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.

وتمت المحافظة فى هذه التوسعة على التَّوَسُّعَات العثمانية السابقة، ويضم القسم العثمانى من الحرم كُلاًّ من:

* الحجرة النبوية الشريفة، وتعلوها القبة الخضراء المغطاة بالرصاص.
* مُصَلى رسول الله ﷺ.
* المنبر الشريف.
* الروضة المطهرة، وبها الأسطوانات الأثرية، ومن أهمها أسطوانة أبى لبابة، أو أسطوانة التوبة، وهى الأسطوانة التى رَبَطَ فيها أبو لبابة بن عبد المنذر نَفْسَه يوم أن خان الله ورسوله فى بنى قريظة، وأقسم ألاَّ يبرح مكانه حتى يتوب الله عليه، وظل على ذلك بضع عشرة ليلة حتى ذهب سمعه وكاد بصره يذهب، وما كان ينزل من فوق السارية إلاَّ لقضاء حاجة أو لصلاة، حتى تاب الله عليه، وأنزل فيه قوله الكريم: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[1].

وكان هناك جذع مكان هذه الأسطوانة، وهذه الأسطوانة هى الثانية عن يمين حجرة النبى ﷺ، وكان النبى ﷺ يصلى أكثر نوافله إلى هذه الأسطوانة.

وقيل إن الأسطوانة التى كان يصلى إليها النبى ﷺ غير أسطوانة

---

(١) سورة الأنفال: ٢٧.

التوبة، وهى الثالثة من المنبر ومن القبر، ومن رحبة المسجد ومن القبلة، وهى متوسطة فى الروضة، وقد صلى النبى ﷺ إليها المكتوبة[1] ثم تقدم إلى مُصلاه، وكان يجعلها خلف ظهره، ويستجاب عندها الدعاء.

وقد يعرفها بعض الناس بأسطوانة عائشة، وذلك لأن عائشة - رضى الله عنها - قالت: لو عرفها الناس لاضطربوا على الصلاة عندها بالأسهم، فسألوها عنها فأبت أن تسميها، فأصغى إليها ابن الزبير، فسَارَرَتْهُ بشىء، ثم قام فصلى إلى الأسطوانة التى يُقال لها أسطوانة عائشة، فظنَّ من مَعَهُ أنها أخبرته أنها تلك الأسطوانة؛ وسُميت لذلك أسطوانة عائشة.

وهناك أسطوانة علىٍّ بن أبى طالب، وهى خلف أسطوانة التوبة، وتسمى أسطوانة الحرس. وهناك أسطوانة الوفُود، وتقع خلف أسطوانة على، وهى الأسطوانة رقم ٣ من جهة قبر النبى ﷺ وكان يجلس إليها لوفود العرب إذا جاءت.

وفى الروضة أيضًا توجد المنارة الرئيسية، ومنارة باب السلام، ومُصَلَّى الرسول لبيت المقدس.

وتتمثل توسعة الملك عبد العزيز آل سعود فيما يلى:

* بيت الصلاة، وهو بيت صلاة رائع يقوم على أعمدة فخمة من

(١) أى الصلاة المفروضة.

المرمر، كما كُسِيَتِ الأرضيةُ بالمرمر، وبلغ عدد الأعمدة الجديدة ٢٣٢ عمودًا.

* الواجهة، أو واجهة الملك عبد العزيز: وهى واجهة بديعة لهذه الزيادات، ويزينها مئذنتان، يبلغ ارتفاع كل منهما نحو ٧٥ مترًا.

(ب) توسعة الملك فيصل آل سعود:

وتمت هذه التوسعة على مرحلتين، وذلك بغرض توفير مساحات كافية لاستيعاب عدد المصلين المتزايد، وقد اشتملت هذه العملية على نزع ملكية ٣٥ ألف متر مربع ثم هدمها وتسويتها بالأرض، وأُعِدَّت لاستيعاب ما يزيد على ضعف عدد المصلين فى المسجد، وكان ذلك فى عام ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م وأضيف إليها ٥٥٥٠ مترًا مربعًا - أُضيفت إلى المساحة السابقة.

ج) توسعة الملك خالد بن عبد العزيز:

وشملت إضافة ٤٥ ألف متر مربع حيث تستوعب ٢٨ ألف مُصَلٍّ جديد، وقد جُهزت بمظلات مؤقتة.

د) توسعة الملك فهد بن عبد العزيز:

وهى توسعة ضخمة، تفوق كل التوسّعات الأُخرى، فهناك ست مآذن، يبلغ ارتفاع كل منها ٩٢ مترًا، ويضاف إليها ارتفاع الهلال ليصبح طول المئذنة ٩٨ مترًا، وهى بهذا تزيد فى الارتفاع نحو ٢٦ مترًا عن ارتفاع كل من المآذن الأربع الحالية، وبهذا يصبح عدد مآذن المسجد النبوى الشريف عشر مآذن.

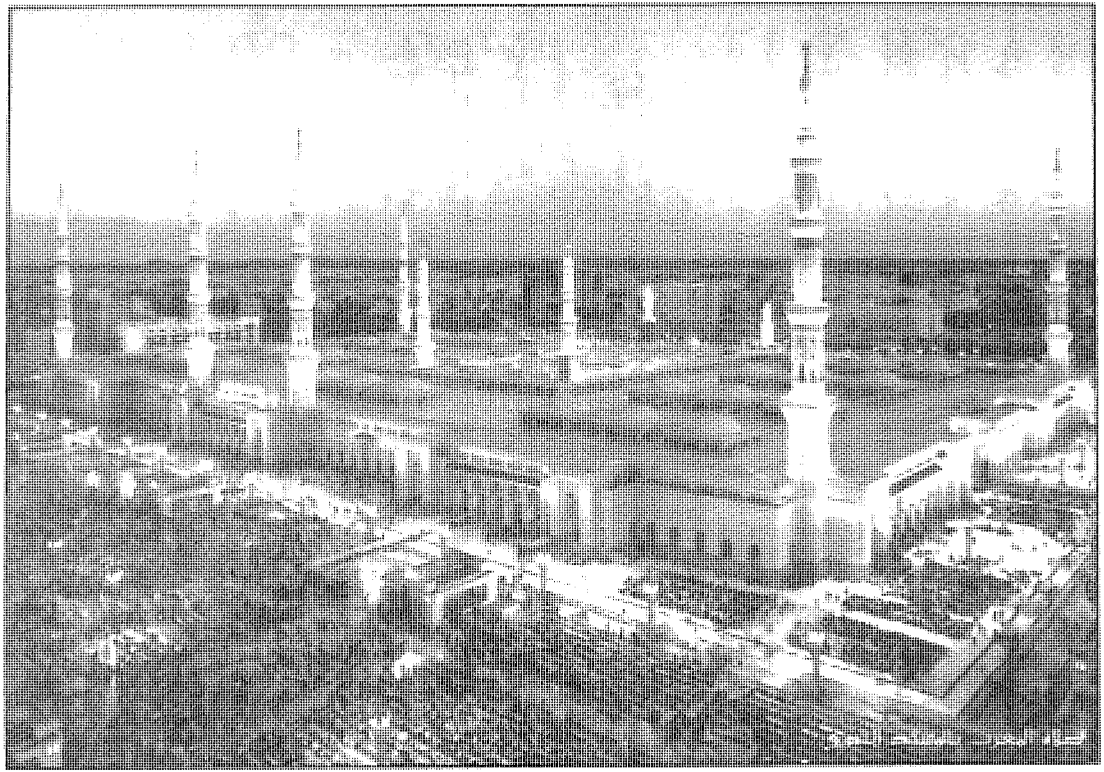
وتحتوى التوسعة على سبعة مداخل رئيسية، يتألف كل منها من سبع بوابات، وهناك مدخلان آخران من الناحية الجنوبية، يتألف كل منهما من بوابتين، وذلك بالإضافة إلى ست بوابات جانبية، وعليه فإن عدد البوابات قد أصبح ٥٩ بوابة، يُضاف إليها بوابات لمداخل السلالم المتحركة ومخارجها، وهى تستخدم للصعود إلى سطح المسجد الذى سيخصص للصلاة جنبًا إلى جنب مع ١٨ سلمًا داخليًّـا، فضلا عن سلالم الخدمات.

وزُوِّدَ المسجد بمحطات تكييف مركزية، وتقع بعيدًا من موقع المسجد بنحو سبعة كيلو مترات. وهناك ساحات تحيط بالمسجد تبلغ مساحتها ٢٣٥ ألف متر مربع، سيخصص منها جزء تبلغ مساحته ١٣٥ ألف متر مربع، ليَسَع ٢٥٠ ألف مُصَلٍّ.

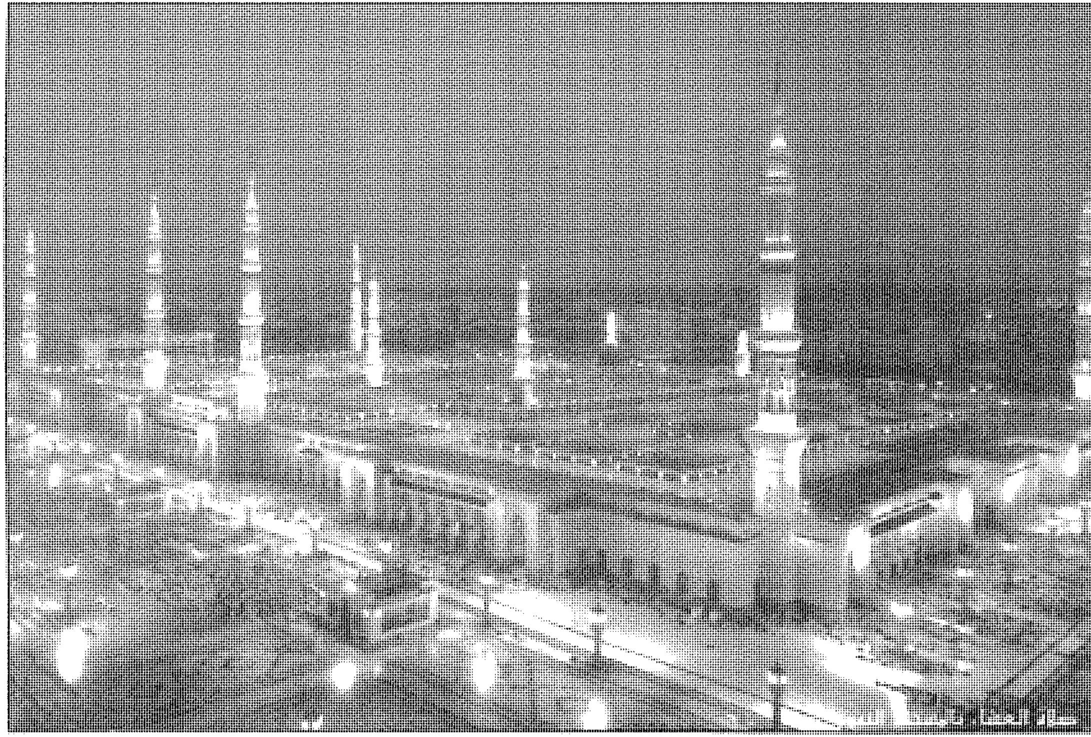
وهذا جهد رائع، ومجهود عظيم، جَزَى الله القائمين به خيرًا.

عناية الأمة الإسلامية بالمساجد:

لقد تجلى حرص الصحابة والخلفاء الراشدين على عمارة المسجد وتشييده، فضلاً عن إجراء التوسعات اللازمة للمساجد المقامة، ومن ذلك مافعله سيدنا عثمان بن عفان - رضى الله عنه - من توسيع مسجد الرسول ﷺ لما ضاق عن المصلين، وهو ما أشرنا إليه تفصيلاً فيما سبق، ومن قبله أدرك الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - دور المسجد وأهميته فى المحيط الإسلامى والمحيط



شكل (٢٥) : صلاة المغرب بالمسجد النبوى



شكل (٢٦) :صلاة العشاء بالمسجد النبوى

الاجتماعى، فكان يوصى قواده الفاتحين وأمراءه الحاكمين أن يؤسسوا فى كل مِصْرٍ من الأمصار مسجدًا جامعًا لتحقيق الأغراض السامية التى كان للمسجد فيها دور السبق والريادة.

خامساً: حرص الأمراء والولاة على تشييدالمساجد وعمارتها:

لقد حرص الأمراء والحكام والولاة والفاتحون والأثرياء على إنشاء المساجد فى البلاد المفتوحة؛ لكى تكون منارات هداية، تقوم بوظيفة المسجد النبوى فى إعداد الأُمَّة. وقد انتشرت إقامة المساجد فى الدول الإسلامية انتشارًا واسعًا، فقد بُنِىَ مسجدُ البصرة عام ١٤هـ، ومسجدُ الكوفة عام ١٥ هـ، ومسجدُ عمرو بن العاص بمصر عام ٢٠هـ، ويُعَدُّ أولَ مسجد بُنى فى مصر عقب الفتح الإسلامى، وهو رابع مسجد أُقيم فى الإسلام بعد مسجد المدينة المنورة.

كما اهتم الْخَيِّرُون برصد الأموال والخيرات التى تكفل عمارة المسجد، وتُعين على تحقيق رسالته، لايستكثرون فى سبيل ذلك نفقة ولا بَذْلاً، ولا يَدَّخِرُونَ نفيسًا ولا جزلاً، تقربًا إلى الله، وإعلاء لكلمته، وإعزازًا لدينه، ونشرًا لِهَدْيه، وإنَّ نظرةً فاحصة على تلك الصروح الإسلامية التى تضرب مناراتها الفارعة فى كبد السماء، وترتفع من فوقها أصوات الدعاة إلى الله لَتَدُلُّ على ما لهؤلاء الْخَيِّرِينَ من فضلٍ، وما سجله التاريخ لهم من ذِكْر، وما ينتظرهم عند الله من أجر.

سادساً: المؤسسات الأخرى التى شاركت المسجد فى أداء رسالته:

١- **الخنقاوات:** هى كلمة فارسية، ومعناها: بيت الخلوة للعبادة، وهى مؤسسات ودور إقامة وعبادة للصوفية، ومفردها «خانقاه»، وأول من أنشأ خانقاه بمصر هو القائد صلاح الدين الأيوبى عام ٥٦٩ هـ- ١١٧٣م، وقد ساعدت على قدوم عدد كبير من زعماء الصوفية إلى مصر، كما كان لها أكبر الأثر فى تربية المريدين، وبَثِّ روح التضحية والفداء، الأمر الذى انعكس على ازدهار حركة الجهاد والمقاومة، واسترداد الأقصى المبارك.

٢- **الزوايـــا:** مفردها زاوية، وهى عبارة عن مكان متسع، ومتسع النواحى والفائدة، فليست مسجدًا صغيرًا كما هو معروف اليوم، وليست دارًا للصوفية كالخانقاه، وإنما هى عبارة عن جامعة أهلية مصغرة، وتؤدى رسالتها بجوار المسجد بكفاءة واقتدار، وتتكون من:

- مساحة أصلية للصلاة يتقدمها محراب الإمام.
- حجرة أو أكثر لتحفيظ القرآن الكريم.
- مكتب لتعليم مبادئ الإسلام.
- كما يلحق بها مسكن شيخ الزاوية وضيوفه من الطلبة، أو من المسافرين، أو الوافدين، أو الحجاج الذين يمرون بها فى موسم الحج.

- مدفن مُؤَسِّسِ الزاوية، أو مدفن أحد الأولياء.
- مكتبة بأمنائها، وخزانة كتبها من المخطوطات والمراجع التى يحتاجها ويستفيد منها الطلاب فى دراستهم(١).

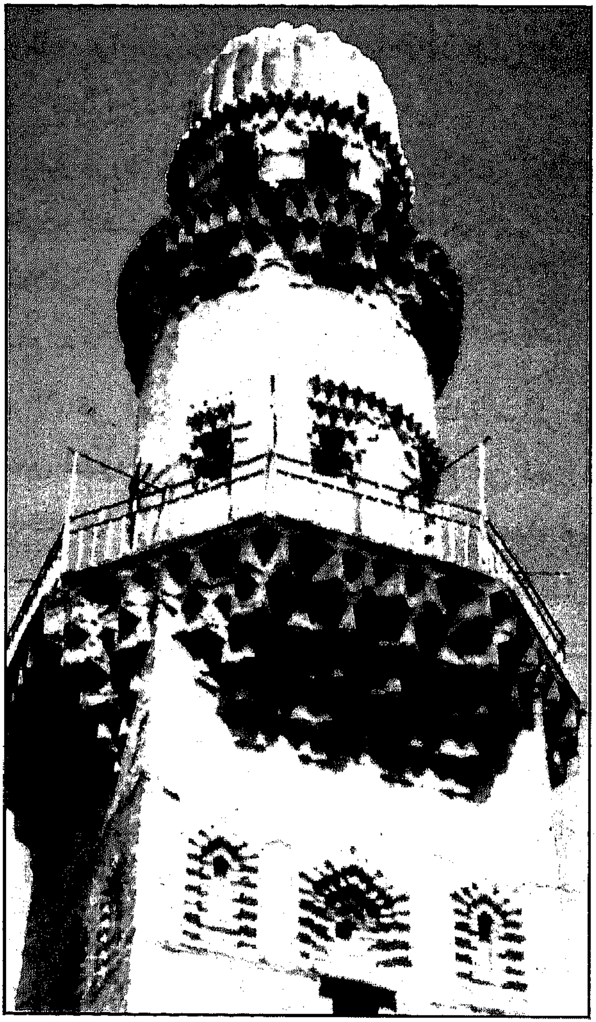
٣- **القِبَاب**: وقد لعبت القبة دورًا هامًّا فى تاريخ العمارة والفن الإسلامى، فقد كان ظهورها بادئ ذى بدء فى صورة صغيرة تعلو المنطقة المربعة التى تتقدم المحراب فى المساجد، كما هى فى جامعى الأزهر والحاكم، ثم أخذت فى الكبر، كما هى فى مسجد الظاهر بيبرس، وأصبحت فى العصر العثمانى تغطى رواق القبلة بأكمله، كما فى مسجدى أبى الذهب بالأزهر، وسنان باشا ببولاق.

وقد بَنَىَ بعض الأمراء قبابًا لهم، واعتبروها مجالسَ للنزهة والترويح عن النفس، فَأَنْشَئُوا حولها الحدائق الغَنَّاء، والحدائق الفَيْحَاء، وكان بعض السَّلاطين والأمراء يتخذونها أماكن للتنزه وإقامة الاحتفالات، وقد رَتَّبَ هؤلاء الأمراء بهذه القباب مؤدبين لتحفيظ القرآن الكريم وبعض العلوم الأخرى، ويرتبون بها أساتذة ومشايخ لتدريس الفقه والحديث، وعلوم اللغة وآدابها.

٤- **الرباط**: هو عبارة عن بناء مُحَصَّن يُقام قرب الحدود، وكانت وظيفة الرِّباط فى بادئ الأمر وظيفة حربية محضة، ولكن بمرور

---

(١) تحفة الأحباب للسخاوى.



شكل (٢٧) منظر خارجي لخانقاه ومئذنة بيبرس الجاشنكير.

الزمن، وشيئًا فشيئًا فقدت صفتها الحربية، وتحولت بالتدريج إلى دور للصوفية يتهجدون فيها ويتبتلون، وقد اشتق اسمها من قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾[1]. فقد كان بعض الصوفية يرون أن الإقامة فى هذه البنايات، والمواظبة على مواقيت الصلوات، والمكث فى طاعة الله خير عظيم للأمة الإسلامية، فالمقيم فى الرباط على طاعة الله إنما يكون مرابطًا، ويدفع بدعائه البلاء عن العباد والبلاد.

فهذه الأماكن فضلاً عن أنها كانت تُعَدُّ بمثابة مراكز ذات نشاط حربى معين لِلذَّوْدِ عن الإسلام بالسيف والدفاع عن ثغور المسلمين، فكانت تختار لها الأماكن التى يُظَنُّ منها هجوم الأعداء أو تسللهم، فهى أشبه ماتكون اليوم بحرس الحدود، وقد شاءت الأقدار أن ألتقى بوحدة من حراس الحدود وأقيم معهم فى أيام حرب الاستنزاف التى سبقت حرب رمضان، فوجدتهم أناسًا صالحين، يحرصون على إقامة الصلاة والعبادة، ويكونون فى خدمة أنفسهم، ويعينون المحتاجين، فذكرونى بأولئك الصالحين الذين أسسوا الرباط، فهم أشبه بأناسٍ انقطعوا لهذه المهمة الجليلة، ولعبادة الله بعيدًا عن حياة الفساد والترف.

وقد تتشابه وظيفة كل من الزاوية والرباط والخانقاه، ولكن لا

(١) سورة آل عمران: ٢٠٠.

يزال هناك تمايز بين كل منها، وإن كان بعض المؤرخين يُسمى كُلاًّ منها باسم الآخر، فهى جميعًا ـ على كل حال ـ كانت مسميات لأماكن ساهمت فى الجهاد والعبادة والتعليم، وآزَرَتِ المسجد فى دَوْرِه الرِّيَادِىّ فى هذه المجالات.

٥- **التكايا**: وهى أماكن تنشأ على غرار سابقتها، وتخصص للإقامة الدائمة والإعاشة، ويقوم نُزلاؤها والوافدون عليها بالعبادة ورياضة النفس والتعليم.

* * *

الفصل الثانى

رسالة المسجد بالنسبة لجماعة المسلمين

لقد أدَّى المسجد رسالته على خير وجه بالنسبة للجماعة الإسلامية منذ أول يوم أُقيم فيه، فلقد كانت المساجد ـ ولا تزال ـ حصن التُّقَى والإيمان، ودُور الهُدَى والعِرفَان، ينهل من مَعِينها الصغيرُ والكبيرُ، والغنى والفقير، فالناس فيها أمام الله سواء، يستمتعون بما فيها من علم وثقافة استمتاعهم بالماء والهواء، يستشرفون فى رحابها ضياء الإسلام وسناه، ورحمة الله وهداه.

فللمساجد مَاضٍ مجيد أَيَّدَهُ الْوَاقِع، كما سَجَّلَتْهُ صفحات التاريخ، فقد حققت للمجتمع الخير والسعادة، والأمن والسلامة، والرشد والاستقامة، حيث حَبَّبَتْ إلى الناس التُّقَى والإيمان، والبرَّ والإحسان، وكَرَّهَتْ إليهم الفُسُوق والعصيان، وأقامت فى ضمائرهم رقيبًا يَحْفِزُهُم إلى الأمانة، ويجنبهم الخيانة، فعلى الأمة الإسلامية اليوم أن توفر لها ما تستأهل من عناية، وما تستحق من رعاية، إبقاء على ما لها من هيبة وقداسة، لتمضى قُدُمًا فى نشر دعوتها، وتحقيق رسالتها، فلن ينهض المسلمون إلاَّ بحضارة قوامها الدين، ومعاهدها المساجد، وثقافتها القرآن وهُدَى الإسلام.

والحقَّ أقول: إننا لو أوْلينا المساجدَ مزيدَ رعاية لوَفَّرْنا للأمة كثيراً من الجهود والنفقات التى تُبذل لصيانة الأمن، وإقامة العدل، والقضاء على الخصومات، ومحاربة المآثم والمنكرات، والتصدى لسىء الدعايات، فالأمل معقود على إشاعة الخير من جَنَباتها، ونشر الفضيلة من رحابها، فرسالة المسجد هى رسالة الإسلام الخالدة، والمساجد هى الرئاتُ الحقيقية التى تتنسَّم فيها الأُمَّة أَنْسَامَ الخير والبركة والحرية والعافية، فى الدين والدنيا، فى الأولى والآخرة.

ويتأكد هذا الدور ويتأَيَّدُ إذا ما عَلِمْنَا أن المسجد هو محور الارتكاز، ونقطة الانطلاق، فهو المَعْبَد والمعهد والمعقل، فيه تُؤَدَّى الشعائرُ والصلوات، وتتم مُدَارَسة أمور الدين والدنيا، وتصدر من رحابه الفتاوَى والأقْضيَة، وتُفَضُّ المشاحناتُ والمنازعاتُ، وتُجيّش الجيوش، ويتعلم المسلمون فى رحابه النظام والتواضع والانضباط، وحُسْنَ التوجّه إلى الله تعالى، وإسداء الرأى والمشورة لطالبها، ففيه تطهر الروح والبدن، ويمتزج العلم بالعمل، وتتضح الغاية والوسيلة، ويُعرف الحق والواجب، ويُعتنى بالتربية قبل التعليم، وبالتطبيق قبل النظرية. يقول الأستاذ محمد أبو الفضل فى تقديمه لكتاب (إعلام الساجد بأحكام المساجد): «كانت المساجد على مَرِّ العصور منارة العلم ومثابة العلماء، فى ساحاتها انعقدت حلقات الدرس، وأُقيمت المناظرات، وتشققت المذاهب والآراء، فكان لذلك أثره البعيد فى

تقدم العلوم والآداب والفنون، وعلى منابرها وقف الخلفاء واللُّسُنُ المصاقع من الخطباء، وأثِر عنهم القول البليغ، والنصح الرشيد، ما تناقله الرواة، وأودع بطون الكتب والأسفار.

وكانت المساجد أيضًا - لما أُلحق بها من مدارس ومعاهد، وما أنشئ فيها من السُّبُل وخزائن الكتب، ومَا وُقِفَ عليها من أَحْبَاس، وما انعقد فى جنباتها من مجالس القضاء، وما افْتَنَّ به بُنَاتُهَا من روائع العمارة والزخرفة والتجميل - تحمل أكرم المعانى نحو رسالة الخير والحق والجمال.

ثم هى قبل ذلك من أشرف البقاع عند المسلمين، وأقربها إلى نفوسهم، وأروحها على قلوبهم، يهرعون إليها خمس مرات فى اليوم والليلة، يؤدون الشعائر، ويقيمون الصلوات، ويخرجون منها أَصْفَى ما يكونون أفئدة وعقولا.

لهذه المزايا السامية، والخصائص الجليلة، استحقت من العلماء والباحثين أن يولوها النصيبَ الأوْفَى من الدراسة والبحث، وأن يخصوها بالتأليف والتصنيف».

ونستطيع تلخيص رسالة المسجد للجماعة الإسلامية فيما يلى:

أولا: أداء العبادة والصلوات:

إن أداء العبادة وإقامة الصلوات هى الوظيفة الأساسية للمسجد

بالنسبة للجماعة الإسلامية، وهى وظيفة حيوية وهامة، ترتبط بأعمال تربوية وصحية واجتماعية أخرى، من نحو الطهارة من الأحداث والأنجاس، وستر العورات، والحضور إلى المسجد بسكينة ووقار، وسَمْتٍ حسن معتدل، يُحْتَذَى به ويُقْتَدَى، كما أنها مرتبطة بوظيفة إعلامية هامة، هى الأذان والإعلام بأوقات الصلاة، تنطلق به حناجر المؤذنين بأصوات حسنة من رحابها، ومن أعلى مناراتها، فقد قال الرسول ﷺ لسيدنا عبد الله بن زيد الذى تعلَّم الأذان منامًا: «**عَلِّمْهُ بلالاً فإنه أَنْدى منْكَ صَوْتًا**». وقد وردت الأحاديث الكثيرة التى تبين أهمية إجابة الدعاء، وفضيلة الطهر، والذهاب إلى المسجد، وأداء الصلوات فيه، وثواب المكث فيه انتظارًا للصلاة، كما أن عبادة الاعتكاف يشترط لصحة أدائها المسجد.

ثانياً: تحديد الوقت وتنظيمه:

إن تحديد الصلوات الخَمْس، والإعلان عنها بالأذان يُعَدُّ من أهم وظائف المسجد، حيث ينظم للجماعة الإسلامية أوقاتها، فترتب أحوالها فى العمل وفى الراحة، بل وفى الأوقات التى يحرم فيها البيع والشراء، كوقت النداء لصلاة الجمعة.

ثالثًا: تدريس العلم ومذاكرته:

وهذه وظيفة أخرى من وظائف المسجد، لها بسابقتها صلة وثيقة، لأن أداء العبادة وفقهها يحتاج علمًا صحيحًا نافعًا، ولا شَكَّ فى أن

مذاكرة العلم وتحصيله فى تلك البقاع أجدى وأنفع؛ لما يسبقها من الطهارة، ولما يصحبها من استحضار عظمة الله، واحتساب هذا العمل لوجهه الكريم، ولما تَنْزِلُ به الملائكة من الرحمة والسكينة والوقار على المتحلِّقين لطلب العلم فيها، وفضلا عن كل هذا فإنها سُنة رسول الله ﷺ فهو الذى سَنَّ ذلك، وهو الذى بَيَّنَ فَضْلَه، وبَيَّنَ الآداب الراقية التى يجب أن يستقبل بها طالب العلم، وكيف تكون الرحمة فى مُعاملته والرفق به، والتيسير عليه، كما كان من هَدْيِه ﷺ أن يمر على حلقات الدرس والذكر فى المسجد، ويُبدى ملاحظاته وتوجيهاته، موجِّهًا ومُصَوِّبًا، مُقَوِّمًا ومُقَيِّمًا، مما أخذ عنه، وأثر فى أسلوب المُرَاقبة والمتابَعَة.

رابعًا: مقر رئاسة الدولة وإدارة شئونها:

كان المسجد - بالإضافة إلى ما سبق - مقرَّ رياسة الدولة الإسلامية، وإدارة شئونها، من نحو تجييش الجيوش، واستقبال الوفود والرسل والقواد، ونشر العدل، والقضاء، وتولى أمور الاحتساب، وما إلى ذلك من الأمور التى تحتاجها الدولة فى تصريف شئونها، وقد حَظِىَ مسجد النبىّ ﷺ بالكثير من هذه المزايا والوظائف.

خامسًا: المسجد مَفْزَعُ المسلمين عند النوازل:

وهذه وظيفة أخرى للمسجد، وهى على جانب كبير من الأهمية،

فلقد كان المسجد عبر التاريخ هو المكان الذى تفزع فيه الأمة إلى الله عند ما تنوبها النوائب، أو تنزل بها النوازل، وكيف لا يكون كذلك وهو بيت الله؟ وبيوت الله فى الأرض المساجد، بل إنه من خير بقاع الأرض، والحركة منه وإليه كثيرة الثواب، عظيمة الأجر، فإذا كانت كتائب التحرير والتنوير قد انطلقت من مسجد رسول الله ﷺ تملأ الدنيا قسطًا وعدلاً، فلا يزال المسجد مفزع المسلمين عند حلول النوازل والنكبات، حيث تلتقى فيه الجموع المسلمة فى هذه الأحوال تائبة لائذة برحاب ربها، تلتقى على توحيد الكلمة والصف، ورأْب الصَّدْع، لكى يمنحها الله القدرة على إحكام خطة مواجهة هذه الأخطار، سواء أكانت من عدوٍّ غادر، أو من كارثة طبيعية لا سبيل لها فى تفاديها إلاَّ بالرجوع إلى الله - تعالى.

وهذه بعض المواقف التى يفزع فيها المسلمون ضارعين إلى الله من رحاب المساجد:

١ - مواجهة الكوارث الطبيعية:

عندما ينزل بالأمة الإسلامية أو بقُطْرٍ من أقطارها كارثة طبيعية، لا قدرة لها على دَفْعهَا، من نحو زلزال، أو احتباس مطر، أو كسوف، أو خسوف، فإنها تفزع إلى الله لكى يتولى عنها مهمة الدفاع وتفريج الكرب، وما كان ارتباط الأمة بخالقها وضراعتها إليه من رحاب بيوته إلاَّ ليقينها الذى لا ريب فيه بأنه ما نزل بَلاَءٌ إلا بذنب، ولا رُفع إلا بتوبة، ولهذا فقد شُرِعَت صلاة الكسوف والخسوف والاستسقاء.

وهناك وظيفة أساسية للمسجد فى مثل هذه الظروف، ألا وهى دعوة الأمة لتجديد إيمانها بالعَوْدِ الحميد إلى الله، وإصلاح ذات البَيْنِ، وتوثيق عُرَى الأخوة، والتخلّى عن الظلم، وعن أكل أموال الناس بالباطل، كل ذلك من خلال الخطب والدروس التى تُلْقَى فيه لتبصير الأمة وتنويرها، ودعوة القادرين والموسرين إلى بَذْل العون ومساعدة المنكوبين والمتضررين.

٢- ملتقى المسلمين لصد خطر الأعداء:

والأمثلة على ذلك كثيرة ووفيرة، فى القديم وفى الحديث، فلقد كان إعداد الجيوش والسرايا للغزو أو الفتح يتم من رحاب المسجد، كما حدث فى الاستعداد لغزوة تبوك، يوم أن جلس رسول الله ﷺ فى المسجد، ودَعَا للجهاد، فخرج كل صحابى إلى بيته فأحضر شطر ماله، ماخلا أبا بكر، فقد أحضر جميع ماله، فقال له النبى ﷺ: «**وماذا أَبْقَيْتَ لأهلك يا أبا بكر؟**»، فقال: أَبْقَيْتُ لهم الله ورسوله.

كما أن حركات التحرير وصَدَّ هجمات الغزاة ومقاومتهم فى الدول الإسلامية، ثم الإعداد لها واتخاذ القرارات المناسبة لها، كانت تتم فى رحاب المسجد، ولاننسى فى هذا الصَّدَد دور الأزهر الشريف، ودور علمائه فى صد الحملة الفرنسية ومقاومتها.

كما لجأ كثير من قادة الدول الإسلامية إلى إعلان التعبئة العامة واستنفار شعوبهم من رحاب المساجد، إيمانًا منهم بأنها خير وسيلة

إعلامية فى هذا المجال، لأن الحديث من رحاب المسجد يمس شغاف القلب والوجدان، ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما قام به الرئيس المصرى جمال عبد الناصر فى عام ١٩٥٦م يوم أن تجمعت قوى العدوان الثلاثى (إنجلترا وفرنسا وإسرائيل) وقامت بعدوان غاشم على مصر، فما كان منه إلاَّ أن توجَّه إلى الجامع الأزهر الشريف، واعتلى أعواد منبره العتيق، المضمخة بأنفاس من اعتلوه من العلماء العاملين، ، والأولياء المخلصين، اعتلاه وخَاطَبَ الأُمة، واستنفر جماهيرها المؤمنة بالفطرة، فتجاوبت معه من أقْصَى الوطن إلى أقصاه، تجاوبت معه واستجابت لندائه فى ودٍّ وانسجام، وعقدت العزم على التضحية بالنفيس قبل الرخيص.

وكذلك اتخذت مدينة السويس الباسلة قرار صمودها فى حرب العاشر من رمضان ـ السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ـ من رحاب المسجد، والأمثلة على ذلك من الكثرة والوفرة بمكان فى كل الأقطار الإسلامية.

وهذا قليل من كثير مِمَّا للمسجد فى الأمة من دور رئيسى، وفى هذا يقول الدكتور حسين مؤنس فى كتابه (المساجد):

«المسجد هو مركز ترابط الجماعة الإسلامية وهيكلها المادى الملموس، فلا تكتمل الجماعة إلاَّ بمسجد يربط بين أفرادها بعضهم ببعض، ويتلاقون فيه للصلاة وتبادل الرأى، ويقصدونه للوقوف

علـى أخبـار جماعتهم، أو يلتقـون فيـه مـع رؤسـائهم، أو يتجهـون إليـه لمجرد الاستمتاع بالقعود فى رُكن من أركانه كما يفعل الناس عند ما يزورون حديقة ليروحوا عن أنفسهم، فالمسجد على هذا ضرورة دينية، وضرورة سياسية، وضرورة اجتماعية أيضًا بالنسبة لكل مسلم على حِدَة، وبالنسبة للمسلمين جماعة»[1].

* * *

(١) المساجد: ص ٣٤.

الفصل الثالث

الأخطار التى أحاطت بالمسجد وبرسالته

باستقرائنا لتاريخ المسجد، وتاريخ رسالته المشرقة، نستطيع أن ندرك أن هذه المؤسسة الجامعة قد اكتنفتها الشرور والأخطار منذ أول لحظة لقيامها، حدث لهذه المنشأة كل هذا بالرغم من بساطتها الشديدة، وتواضعها الأشد، فلم تكن ضخمة البناء، ولا سامقة التشييد، ولكنها على بساطتها هذه كانت منارة إشعاع، وقلعة من قلاع التقى والإيمان؛ ولذلك فقد أدرك أعداؤها للوهلة الأولى أهميتها ودورها العجيب فى جمع كلمة الأمة وتوحيد صفِّها، فكرَّسُوا جهودهم للنيل منها ماديًّا ومعنويًّا، بالتشويش والتحريش تارة، وبالإثارة والإغارة تارات؛ كما سلكوا فى صَدِّ الناس عنها كل سبيل، أملاً فى الإطاحة بها والنيل منها، بل لا نبالغ إذا قلنا إن أحلامهم السقيمة قد سوَّلت لهم الخلاص منها بين عشية وضحاها، ولا أدلَّ على ذلك مما امتلأت به صدور الحاقدين من غَمٍّ وحقد عندما أقام النبى ﷺ أولَ مسجد فى الإسلام، وهو مسجد قباء، ذلكم المسجد الذى أسسه رسول الله ﷺ على التقوى من أول يوم، والغريب فى هذا المخطط الحاقد أنه لم يقتصر على مِصْرٍ دون مصر،

أو عصرٍ دون عصر، ولكن اكتوت بناره كل الأقطار على اختلاف الأعصار، ونستطيع تسليط الضوء على بعض الحوادث والمحاولات التى تمت من خلالها مناوأة المسجد، ومحاولة التأثير على رسالته، وذلك على النحو التالى:

أولاً: أخطار النفاق والمنافقين:

١- ملامح النفاق والمنافقين:

إن كلمة (النفاق) مشتقة من المخادعة المصانعة، فهى تدل على أن الإنسان يُظهر للناس خلاف ما يُبْطن فى شتى نواحى الحياة، وهو بذلك يتضمن دخول المرء فى الإسلام ظاهرًا وهو لا يؤمن به باطنًا، كما يتسع معنى هذه الكلمة ليشتمل كلَّ أمر يكون الظاهر فيه مخالفًا للباطن، وعليه فإن النفاق ضَرْب من ضُرُوب الكذب.

والنفاق ينطوى على إيذاء الغير ضرورة، كما أن أمر النفاق لا يقتصر على مجاراة الغرائز وإشباع الشهوات، وإنما يقتضى فنونًا من الصناعة وضروبًا من التشكل والتهيئة والمظاهر، ولا يصير النفاق عادة إلا بمرور الزمن، عندما تتأصل فى النفس عقدة يرتكز عليها ويصدر منها وإليها.

كما أن النفاق ينصرف إلى الأمور الهامة والخطيرة، وكلما اشتد خطر الأمر فإنه يبعد عن نطاق الكذب البسيط، ليقع فى منطقة النفاق، ويدخل فى أوضاعه المعقدة، ولذلك كانت الأمور التى تتعلق

بالجيوش وأعمال الحرب والحكم والسلطان، ومقتضيات السياسة والدبلوماسية، وما يتوصل بها من هيئات ومؤتمرات، كانت كلُّها من أشد وأخطر شئون النفاق، كما أن النفاق يتدخل إلى جانب ذلك فى كثير من أوضاع المجتمعات وأوضاعها، كما يستخدم المنافقون أساليب متعددة، لعل من أشدها فتكًا، ومن أكثرها ضررًا، فنون الدعاية والإعلام بما يَسُودُه من تقنية مذهلة، هذا فضلاً عن أساليب الإشاعات.

ولقد كان الدين من أهم أهداف النفاق منذ العهود الضاربة فى القدم، بل لعله كان أول هدف قذف النفاقُ عليه أكاذيبه، وأدخل عليه الزيفَ والخرافاتِ والبدع الضارة، وأصدق مثال لذلك: ما كان يُزَوِّر به الكهنة عبادة الله ويقلبونها إلى تماثيل وأصنام، ملؤها الزيف والبهتان، وحَشْوُها الخرافة والطغيان، وكل ذلك حتى يستطيعوا الوصول إلى أغراضهم فى ابتزاز أموال الناس. ولا يزال المضلُّون يتخذون الدين ستارًا لتغطية الأغراض غير المشروعة، فيُدخلون الغفلة على كثير من الناس، سواء فى ذلك البسطاء وغيرهم.

وتلعب الثروات الطائلة دورًا هامًّا فى خلق أشكال ضارية من النفاق، وخاصة فى المجتمعات الرأسمالية، حيث تتكدَّسُ الأموال فى أيدى القلَّة القليلة، ويكون البؤس والفقر والحرمان من نصيب الأكثرية الكاثرة، فيستعلى أصحاب الأموال بكبريائهم وجبروتهم وطغيانهم، ويخفت ضوء العدالة، فضلاً عن ذهاب صوتها.

٢- النفاق فى صدر الإسلام:

لقد كانت قصة النفاق فى صدر الإسلام، وفى عهد رسول الله ﷺ قصةً طويلة مريرة، وقد بدأت هذه الملحمة منذ دخول رسول الله ﷺ المدينة، وتداخلت حوادثها فى أغلب حوادث الدعوة الإسلامية، وحارب المنافقون النبى ﷺ حروبًا خفية مليئة بالدسائس، والتجسس، والتآمر، فقد حاولوا أن يؤلبوا عليه وعلى المسلمين أشتاتَ الكافرين وضعافَ القلوب، وكانت لهم فى ذلك مكائد خطيرة عصم الله منها نبيه الكريم وعبادَهُ المؤمنين، ولم يَحِدِ المسلمون قط عن منهج الخُلق القويم، ولم يتخلوا عن مبادئهم قيد أُنْمُلَة، ولم ينزلوا إلى درك مقاومة النفاق بالنفاق، ولم يجل بخاطرهم لحظة التخلى عن تعاليم الدين والأخلاق للرد على تلك المكائد بمثلها، لإيمانهم الراسخ أنه لا يصح إلاَّ الصحيح، وأن اجتثاث الشَّرِّ وقلع جرثومته لا يكون إلاَّ بمنطق الصلاح والإصلاح، وإلاَّ لتوالت الشرور، ولأصبحت كحلقة مفرغة لا يُدْرَى أين طرفاها.

وسنركز هنا على الدور الواضح والجلى للمنافقين ومحاولاتهم النَّيْل من المسجد ومن رسالته، حتى لا يتشعب بنا الحديث فى موضوع كهذا متعدد النواحى ومتشعب الأطراف، بل وكثير المزالق والمنعطفات، فقد دخل الإسلام نفر من أصحاب القلوب السقيمة، والنفوس المريضة اللئيمة من المنافقين، على عهد رسول الله ﷺ وَتَلَتْهُمْ على هذا الدرب فُلول الموتورين الحاقدين، وما انضم

المنافقون ظاهريـًّـا إلى رَكْب الإسلام بغرض تخريب تلك المؤسسة وتقويض أركانها إلاَّ لزعمهم أن ذلك أسهل طريق للتخريب والتقويض، ونستطيع عرض جانب من هذه المحاولات فيما يلى:

أ) محاولة التشكيك فى الإسلام داخل المسجد:

وفى هذا المعنى يقول ابن إسحاق: «وكان ممن تعوَّذ بالإسلام ودخل فيه مع المسلمين، وأظهره وهو منافق من أحبار اليهود من بنى قينقاع، كل من: سعد بن حنيف، وزيد بن اللعين، ونعمان بن أوفى ابن عمرو، وعثمان بن أوفى، ورافع بن حريملة، ورفاعة بن زيد... وكان هؤلاء المنافقون يحضرون بالمسجد فيستمعون أحاديث المسلمين ويسخرون منهم، ويستهزئون بدينهم، فاجتمع يومًا حولهم فى المسجد أناس، فرآهم النبى ﷺ يتحدثون بينهم خافضى أصواتهم، قد لصق بعضهم ببعض، فأمر بهم الرسول ﷺ فَأُخْرِجُوا من المسجد إخراجًا عنيفًا.

فقام لكل واحد منهم واحد من المسلمين فأخرجوهم من المسجد. واستمر اليهود فى حربهم المستورة للمسجد ـ لضعفهم وجُبنهم ـ ضمن حربهم للإسلام والمسلمين، مما أشاعوه فى المسلمين من إشاعات هدَّامة وترهات وأباطيل، كما كانوا وراء المذاهب الهدَّامة، والفِرَق الضالَّة التى تَزَيَّتْ بزىِّ الإسلام، ولكن الإسلام منها برىء، ومازالت المؤامرات تُحاك ضد المسجد فى هذا المضمار».

ب) التشويش على المسجد بإقامة مسجد الضرار:

لقد أخذ اليهود يتحركون تحركًا عمليًّـا للتشويش على مسجد التقوى الذى أَسَّسَهُ رسول الله ﷺ، فقاموا بإنشاء مسجد قريب من مسجد «قباء»، وقد اخترع المنافقون إشاعة ضعيفة وسخيفة فى بنى عمرو بن عوف ليستنفروا ضعاف النفوس ومرضى القلوب، فقالوا عن مسجد «قُبَاء»: إنه بُنى على أَرْضٍ كانت امرأة تربط فيها حمارها، واستنكروا أن يُصَلُّوا فى مربط حمار، واعتقدوا أن ذلك يُعَدُّ سببًا كافيًا للتنفير من مسجد «قباء» الذى بناه رسول الله ﷺ وأقام فيه المسلمون يعبدون الله سبحانه وتعالى.

وتضافرت هذه الإشاعات فحفزت اثنى عشر رجلاً من بطون مختلفة، فبنوا المسجد الذى أشار ببنائه «أبو عامر الفاسق»، وقالوا فيما بينهم: يأتينا أبو عامر فيتحدث عندنا فيه، فإنه يقول: لا أستطيع أن آتى مسجد بنى عمرو بن عوف، وفى رواية لا أستطيع أن أدخل مربدكم هذا، فإن أصحاب محمد يَلْحَظُوننى وينالون منِّى ما أكره، وهكذا بَنَوْهُ، يريدون ببنائه السَّوْءَى، ضرارًا لمسجد رسول الله ﷺ، وكفرًا بالله، وإرصادًا لأبى عامر الفاسق.

(١) مكان مسجد الضرار وأهدافه المعلنة:

اتخذ المنافقون هذا المسجد فى «قباء»، وهى ضاحية من ضواحى المدينة، تمتاز بالهدوء، وأرادوا بذلك أن يجعلوه مركزًا لنشاطهم

المشبوه، ومنتدى للتآمر، وإثارة الشغب وتدبيره، واتخذوه وكرًا للتآمر وإحداث الفتن، وقد دفعهم الخبث والرغبة فى التستر بأن أرسلوا خمسة منهم إلى رسول الله ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يارسول الله، إنا قد بنينا مسجدًا لذى العلَّة (المرض)، والحاجة، والليلة المطيرة، والليلة الشاتية، وإنّا نحب أنَ تأتينا فتصلى لنا فيه، وتدعو لنا بالبركة. فقال: «**إنى على جناح سَفَر، وحال شغل، ولو قَدمْنَا إن شاء الله لأتيناكم فصلَّيْنا لكم بكم فيه**». وكان المسلمون فى تلكَ الناحية يصلون فى مسجد «قباء» جماعة، فلما بنى هذا المسجد صُرِفَ عن مسجد «قباء» جماعة، وصَلّوْا بذلك المسجد، فكان فى ذلك تَفريقٌ للمؤمنين، ومحاولة للبحث عن ضِعَاف النفوس وضمِّهم إليهم.

(٢) افتضاح أمر مسجد الضِّرار:

لقد كشف الله ـ تعالى ـ سَتْرَ هؤلاء المنافقين، وفضح أمرهم، فما كاد النبى صلى الله عليه وسلم يصل إلى «ذى أوان» من ضواحى المدينة راجعا من «تبوك»، حتى أتاه فريق من المنافقين يدعونه إلى الصَّلاة فى مسجدهم، فدعا بقميصه ليلبسه، فنزل قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن

يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(١).

وقد ذكر الزرقاني عن ابن عباس: أنه لمَّا بُنِي مسجد الضرار قال رسول الله ﷺ لِبَحْزَج (أحد المشركين في بنائه): «**ويلك ما أَرَدْتَ؟**» قال: والله ما أردتُ إلا الحسنى، وإلى ذلك أشارت الآية: ﴿**وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَىٰ**﴾، وقد بينت الآيات أن هدفهم من بناء المسجد كان نقيض ما أعلنوه تمامًا.

(٣) نهاية مسجد الضرار:

لما نزلت الآيات السابقة دعا رسول الله ﷺ «مالكَ بن الدُّخْشُم» أخا بني سالم بن عوف، و «مَعْنَ بن عَدِيّ» أو أخاه «عاصمَ بن عديّ» من بني العجلان ـ ونفرًا معهم ـ فقال: «**انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرِّقاه**»: فخرجا سَرِيعَيْن حتى أتيا بني سالم بن عوف ـ وهم رهط مالك بن الدُّخْشم ـ فقال مالك لمعن: أنظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي، فدخل إلى أهله فأخذ سعفًا من النخل فأشعل فيه نارًا، ثم خرجا يشتدَّان حتى دخلاه، وفيه أهله، فحرقاه وهدماه، وكان ذلك بين المغرب والعشاء، ووصل الهدم إلى الأرض»(٢).

---

(١) سورة التوبة: ١٠٧-١١٠.

(٢) النفاق والمنافقون، ص ٢٦٨.

وللأسف فما زالت تلك الصورة وتلك الشعارات تتكرر فى كل زمان، مع اختلاف يقتضيه الزمان والمكان، ومازال كل هذا وغيره يُعْمَلُ لِلنَّيْلِ من المسجد ومن المسلمين.

وكما يقول الأستاذ محمد فؤاد فرج فى مقاله: «مسجد الضرار محاولة انقلاب داخلية»: ولا يزال أعداء الإسلام من المنافقين والملحدين والمبشرين والمستعمرين يقيمون أماكن باسم العبادة، وما هى لها، وإنما المراد بها الطعن فى الإسلام، وتشكيك المسلمين فى معتقداتهم وآدابهم، ولذلك يقيمون مدارس باسم الدين والتعليم ليتوصلوا إلى بث سمومهم بين أبناء المسلمين، وصرفهم عن دينهم، وكذلك يقيمون المنتديات باسم نشر الثقافة، والغرض منها خلخلة العقيدة السليمة فى القلوب، والقيم الخلقية من النفوس، أومستشفيات باسم المحافظة على الصحة والخدمة الإنسانية، والغرض منها التأثير على المرضى والضعفاء، وصرفهم عن دينهم، وقد اتخذوا من البيئات الجاهلة والفقيرة ـ وخاصة فى أفريقيا ـ ذريعة للتوصل إلى أغراضهم الدنيئة، التى لا يقرها عقل ولا شرع ولا قانون، وكل هذا أخطر بكثير من مسجد الضرار الذى حاربه رسول الله ﷺ أشد المحاربة»[1].

---

(١) الوعى الإسلامى ـ أبريل ١٩٩٣م، ص ٩١ ، ٩٢.

ثانيًا: محاولات طمس الهوية وتغيير معالم المسجد:

١- العدوان على الكعبة أيام القرامطة:

فى موسم حج عام ٣١٧هـ هاجم قرامطة البحرين مكة المكرمة، وأعملوا السيوف فى رقاب الحجيج، واستحلوا حُرمة البيت الحرام، فخلعوا باب الكعبة، وسلبوا كسوتها الشريفة، واقتلعوا الحجر الأسود من مكانه، وحملوه معهم إلى بلادهم، وأعملوا السَّلب والنهب فى البلد الحرام، وقتلوا زهاء ثلاثين ألفًا من أهل البلد ومن الحجاج، وسبوا النساء والذرارى، وانقلبوا إلى بلادهم يحملون الحجر الأسود، حيث أبقوه عندهم نحو اثنتين وعشرين سنة، ثم أعادوه إلى مكة.

من هم القرامطة ؟

القرامطة: طائفة من طوائف الشيعة الإسماعيلية، وينتسبون إلى رجل اسمه «حمدان بن الأشعث» ولقب (قرمط) وقد نشأ هذا الرجل فى خوزستان، ونزل بموضع فى الكوفة عام ٢٧٣هـ، وكان ينسج الخوص، ويأكل من كسب يده، وتظاهر بالزُّهْد والوَرَع والتقشف، حتى التفَّ حوله الناس، فدعا إلى الإمامة، فأضمر هو وأتباعه الحقد للإسلام والمسلمين، وتَرَبَّصُوا بهم الدوائر، وقد عظم أمرهم بالبحرين، وقرب بعضهم من البصرة، وكان ذلك فى عهد الدولة العباسية.

وكانوا يتدرجون في دعوتهم، فيبدءون أولاً بالتَّشَيُّع لآل البيت، ثم يتدرجون شيئًا فشيئًا إلى الغلوّ والإباحة، ويذكر الرَّحَّالة الإسماعيلى «ناصر خسرو» أن السبب الذى دعا القوامطة إلى انتزاع الحجر الأسود من الكعبة هو اعتقادهم أن به مغناطيسًا يجذب الناس إليه من أطراف المعمورة، ولكن لبث الحجر الأسود فى البحرين سنين عديدة ولم يذهب إليها أحد، ولم ينجذب إليه أحد، وهذا دليل على كذب دعواهم.

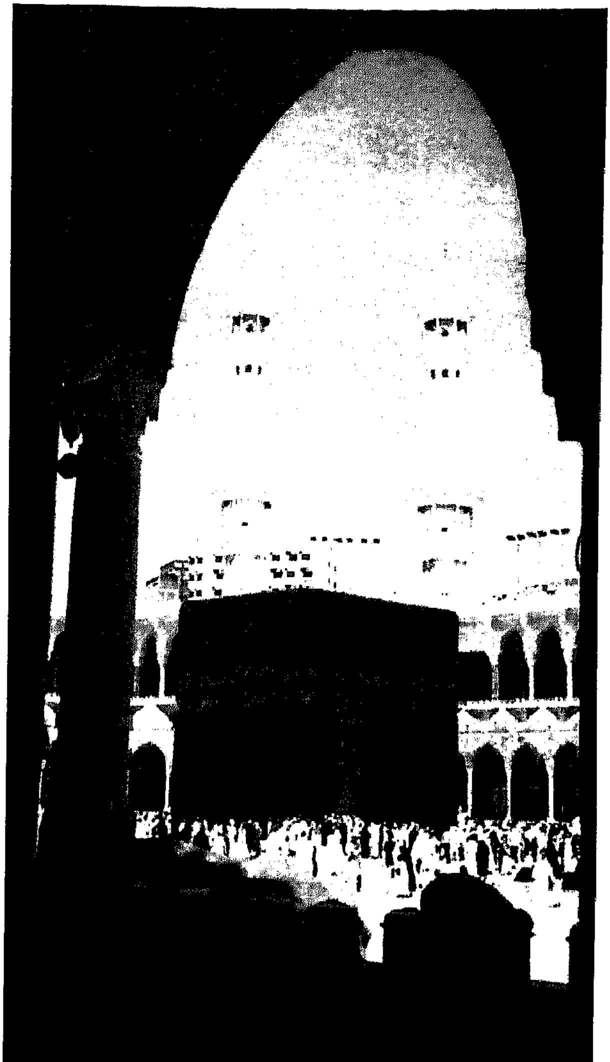
ويذكر القاضى عبد الجبار قولاً لحفص بن عمر بن زرفان - وهو خال أبو طاهر القرمطى - فى وقعة الحرم عام ٣١٧ هـ: فبينما هذا الرجل واقف حذاء البيت والسيف يأخذُ الناسَ، وهو على فرسه يضحك ويقول: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾[١]، حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[٢] قال: ما آمنهم مِنْ خَوْفِنَا، ظهرَ الباطنُ يا أهل مكة، حجُّوا إلى البحرين، وهاجِرُوا إلى الإحساء، من قبل أن نطمس وُجوهًا فَنَرُدَّهَا على أدبارها.

وظل الحجر عندهم اثنتين وعشرين سنة، ثم حملوه وأَتَوْا به إلى الكوفة، ونصبوه فى المسجد الجامع حتى يراه الناس، ثم حملوه إلى مكة، وردُّوه فى مكانه فى الكعبة وقالوا: أخذناه بأمرٍ، وَرَدَدْنَاهُ بأمرٍ.

---

(١) سورة قريش : ١.

(٢) سورة قريش : ٤.



شكل (٢٨) : صورة للكعبة والمسجد الحرام

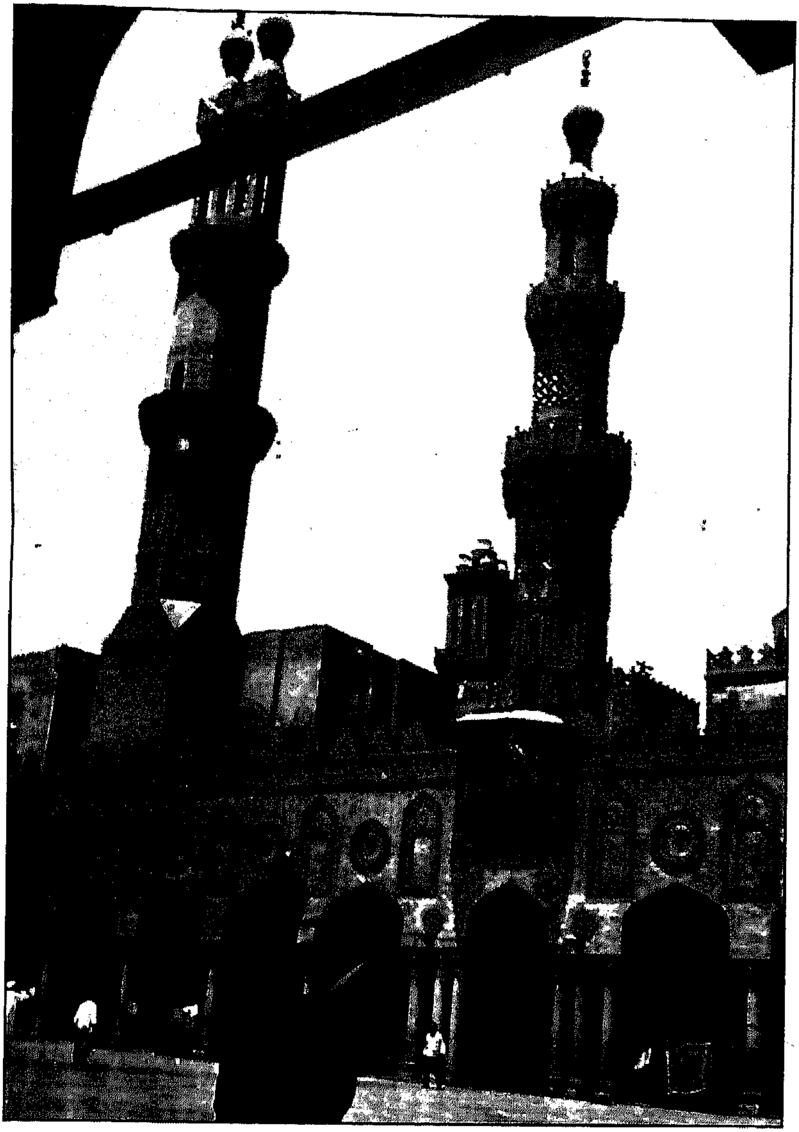
٢- العدوان على الجامع الأزهر بمصر:

في يوم ٢١ من أكتوبر عام ١٧٩٨م حدثت ثورةٌ ضد الفرنسيين، واجتمع بالجامع الأزهر نحو خمسة عشر ألفًا من أشد الثوار، فَنَصَبَ نابليون مدافعه على المقطم وضرب الأزهر والأحياء المجاورة له، ولقد أحدثت هذه المدافع تخريبًا جسيمًا في الأزهر وما جاوره، وعلى إثْر ذلك احتل الغزاة الفرنسيون أزهر المسلمين بمصر، وعسكروا فيه طوال الليل بخيولهم وخُيَلائهم، غير مكترثين بحُرمته الدينية، أو بمكانته العلمية، ومَنَعُوا الطلاب والعلماء من دخوله، وقاموا فيه بالنَّهْبِ والسَّلب.

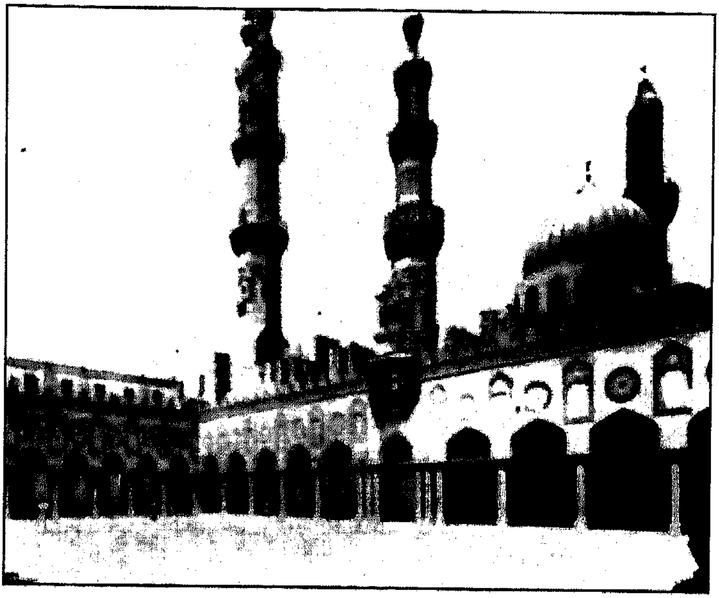
ويقول الشيخ الشرقاوى - شيخ الأزهر - فى كتابه (تحفة الناظرين): «إن الفرنسيين قتلوا من علماء مصر ثلاثة عشر عالمًا، ودخلوا بخيولهم الجامع الأزهر، ومكثوا فيه يومًا وبعض الليلة الثانية، وقتلوا فيه بعض العلماء، ونهبوا منه أموالاً كثيرة، وسبب وجودها - أى الأموال - فيه أن أهل البلد ظنوا أن العسكر لايدخلونه، فحَوَّلوا فيه أمتعة بيوتهم، فنهبوها، ونهبوا أكثر البيوت التى حول الجامع الأزهر، ودشتوا الكتب التى فى الخزائن معتقدين أن بها أموالاً، وأخذ من كان معهم من اليهود - الذين يترجمون لهم - كتبا ومصاحف نفيسة»[١].

---

(١) الأزهر، تاريخه وتطوره، ص ٤٦.



شكل (٢٩) الجامع الأزهر الشريف





شكل (٣٠) الجامع الأزهر من الداخل: حلقات الدرس القديمة فى الأزهر الشريف

هذا، وقد انتهك الفرنسيون فى أثناء غزوهم لمصر حُرمة المساجد فى جميع البلاد، ومن ذلك ما أحدثوه بمدينة بورسعيد عندما دخلوا المسجد العباسى وحصدوا المصلين حصدًا، وقُدِّرَت الجثث التى تُركتْ هامدة بالمسجد بمائتى جثة.

٣- مسجد دمياط الجامع:

أعد الصليبيون عُدَّتهم للبقاء فى دمياط أمدًا طويلاً، وشرعوا فى تجهيزها لتكون موقعًا حربيًّا، وقاعدة عسكرية بحريَّة وبَرِّيَّة، مثل «عكا» وغيرها من ثغور الشام، وقاموا بعمارتها وتحصينها، وبالغوا فى ذلك، حتى أصبحت من المناعة بحيث لاتُرَام، وقد حولُّوا مسجدها الجامع إلى كنيسة.

٤- جامع عمرو بن العاص بالقاهرة:

يُعَدُّ هذا المسجد أول العمائر الإسلامية فى مصر وفى أفريقيا، وقد بناه عمرو بن العاص ـ رضى الله عنه ـ عام ٢١ هجرية عقب فتح مصر مباشرة، وأُجريت له توسعات مُطَّردة، وكان يُسمى بأسماء كثيرة، يذكر لنا منها ابن دقماق ما يلى: «تاج الجوامع، إمام المساجد، مقدم المعابد، قطب سماء الجوامع، مطلع الأنوار اللَّوَامع، موطن أولياء الله وحزبه، المسجد العتيق، مسجد أهل الراية، المسجد، والجامع».

كما تعددت وظائف هذا المسجد إلى جانب كونه مكانًا للصلاة

وللعبادة، فقد كان «مركزَ الحكم، وبيت المال، وبيتَ الإدارة»، كما كانت تعسكر حوله القبائل المشتركة فى فتح مصر.

وقد اعتورته الأحداث وطواه النسيان آمادًا كبيرة، إلى أن نال مكانته التى تليق به فى العصر الحديث، بعد ترميمه وتجديده.

٥- العدوان على مساجد الأندلس:

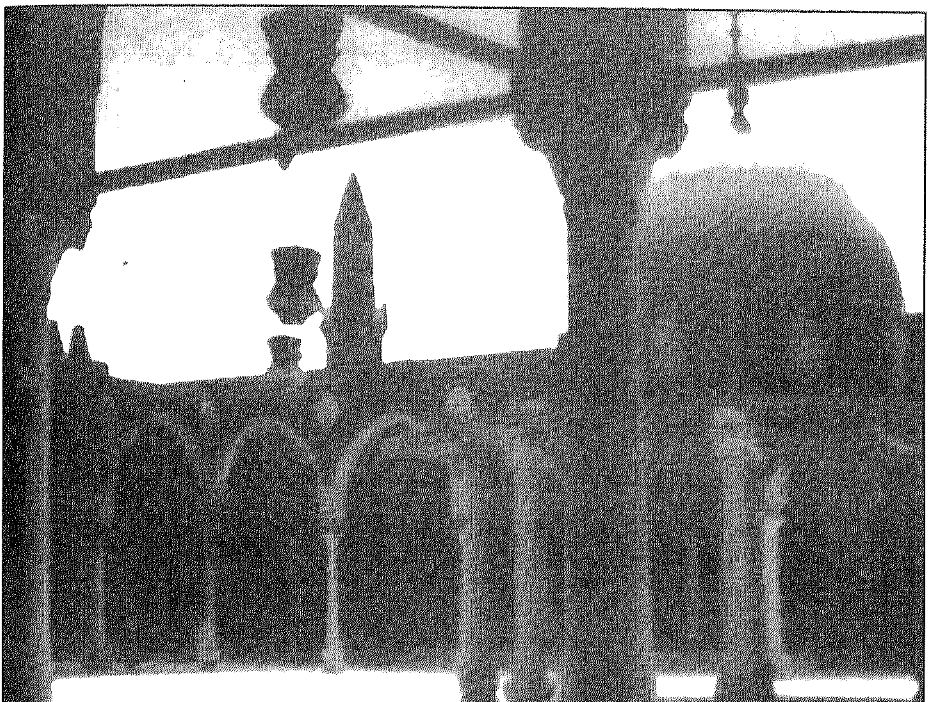
لقد اعتُدِىَ على هذه المساجد بصورة مُخجلة، فَهُدِمَ معظمها، وَحُوِّلَ بعضُها إلى معابد وكنائس وكاتدرائيات، وإليكَ جانبا من هذه الصورة نعرضه عليك فيما يلى:

أ) قرطبة:

كان بها ثلاثة آلاف مسجد حتى القرن العاشر الهجرى، أمَّا الآن فلا يوجد بها سوى مسجد واحد، يُؤدى فيه المسلمون الذين لا يزالون يعيشون فى قرطبة ـ والبالغ عددهم حوالى ٢٠٠ مسلم ـ يؤدون صلاتهم فيه.

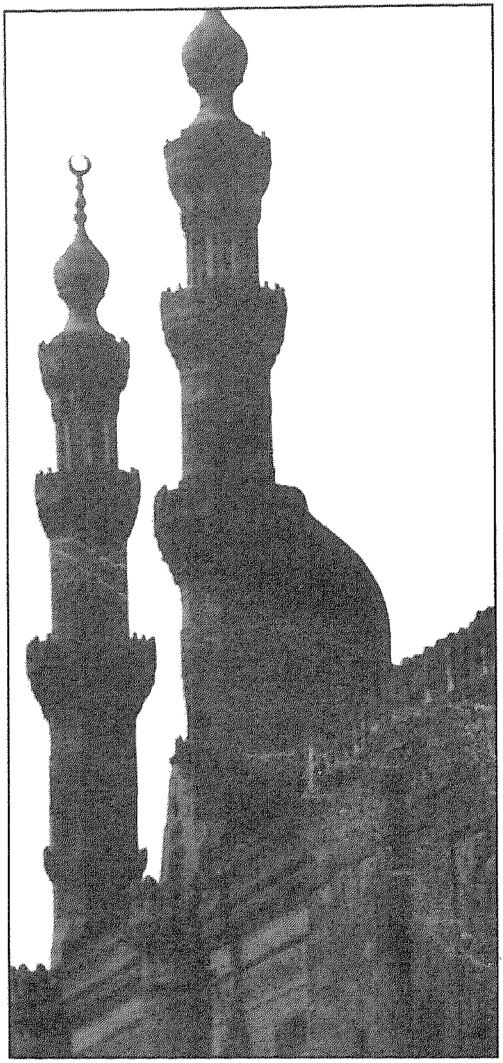
مسجد قرطبة

يُعَدُّ هذا المسجد إحدى مفاخر الزمن، فقد بُدِئَ العمل فيه عام ٧٨٥هـ، وتبلغ مساحته ٢٢٤٠٠ مترٍ مربعٍ، ويتألف المسجد من ثلاثة أقسام، هى: المئذنة، ويبلغ ارتفاعها ٣٣,٥ مترًا، والمِيضَأَة، وقاعة الصلاة، وقد بُنيت قُبَّة المسجد من الحجارة، لذا كان لزامًا على



شكل (٣١)
مآذن مسجد عمرو بن العاص وصوامعه خير دليل على عظمة العمارة الإسلامية

شكل (٣١) مئذنة مسجد عمرو بن العاص



شكل (٣٢) صحن وأروقة مسجد عمرو بن العاص من الداخل

البَنَّائين أن يبنوا جدرانًا سميكة لدعم القبة السميكة. ويوجد بالمسجد حاليًّا ٨٥٦ عمودًا، وقد كانت هذه الأعمدة أيام حكم المسلمين للأندلس ١٠١٣ عمودًا، ويعلو محراب المسجد سبع نوافذ، وهى تعبير عن السمٰوات السبع. وللمسجد تسعة عشر بابًا، ويوجد فى منتصف المسجد حائط مكتوب عليه الآية القرآنية الكريمة: ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾[١]. وما زالت موجودة حتى الآن. وقد حُوِّلَ المسجد الآن إلى كنيسة كاتدرائية، ومتحف[٢].

(ب) إشبيلية:

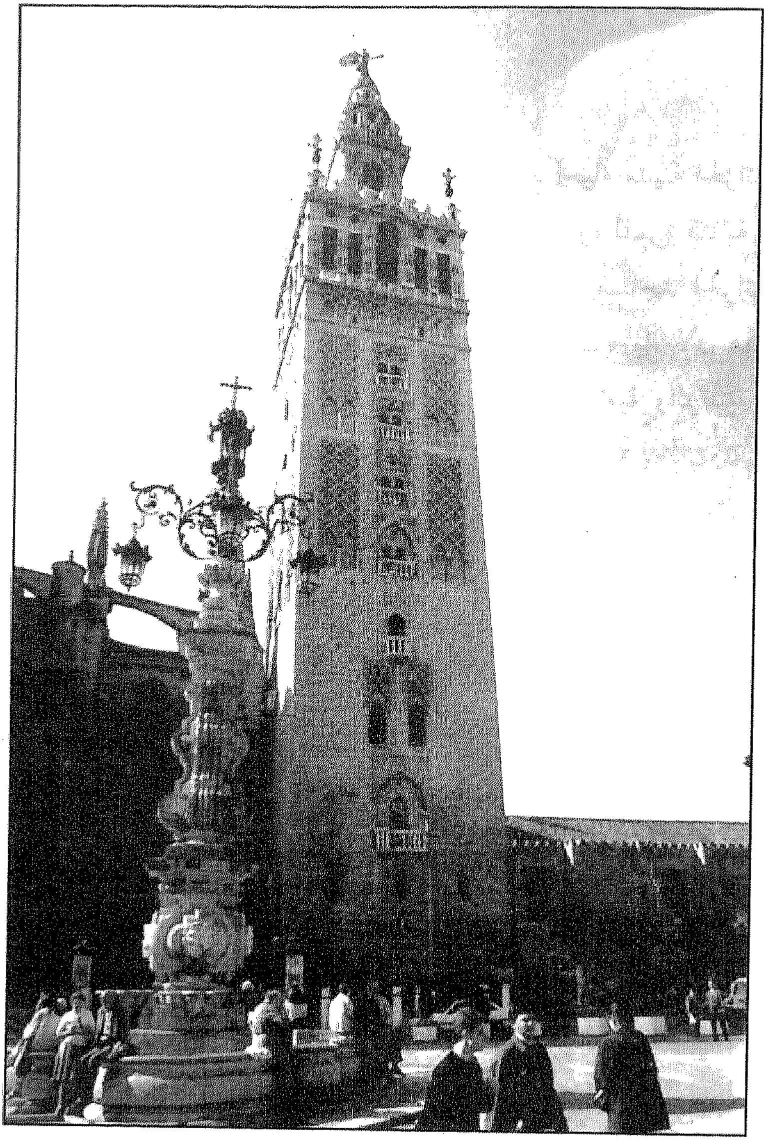
الجامع الأكبر: شُيِّدَ هذا المسجد فى القرن الثانى عشر الهجرى، وله منارة، عبارة عن خمسة وثلاثين دورًا، وارتفاع السُّلَّم لكل دور حوالى ستة أمتار مسطحة، ويبلغ عرض الممر المؤدى إلى أعلى المنارة حوالى متر ونصف المتر، وقد صُمِّمَتْ هذه المنارة بحيث يصعدها المؤذِّن عندما يحين وقت الأذان وهو يمتطى جواده.

وقد تحوَّل هذا الجامع إلى كنيسة الكاتدرائية فى إشبيلية، وهو ثانى أكبر كاتدرائيات فى العالم الأوروبى، كما أن منارته قد استُبْدِلَتْ قمتها وأصبحت أعلى بُرج لمَعْبَد فى أوروبا.

---

(١) سورة آل عمران: ١٨.

(٢) مجلة العربى، يونيو ١٩٩٤م.



شكل (٣٣) مئذنة المسجد الكبير بإشبيلية بالأندلس

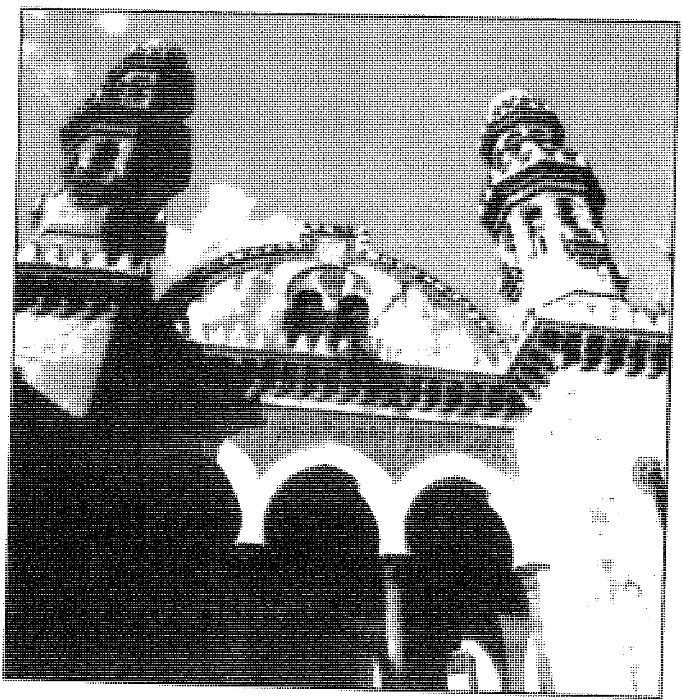
٦- جامع قشاوة فى مدينة الجزائر:

بُنِىَ هذا المسجد الجامع فى حَىِّ القصبة، أقدم أحياء مدينة الجزائر وكان ذلك فى عام ١٠٢١هـ (١٦١٢م)، وجُدِّدَ بناؤه للمرة الثانية، عام ١٢٠٩هـ (١٧٩٥م)؛ لهذا فهو يُعَدُّ من أقدم مساجد الجزائر كلها، إلاَّ أنه لا ترجع أهميته إلى تاريخ بنائه فحسب، بل لأن هذا الجامع قد دخل تاريخ الجزائر كرمز من الرموز الإسلامية والوطنية، حينما حوله الفرنسيون إلى كاتدرائية عام ١٢٤٦هـ (١٨٣٠م)، وبقى كذلك إلى أن حصلت الجزائر على استقلالها، فأعيد إليه استقلاله، وأعيد إلى أصله كمسجد جامع فى الثانى من صفر سنة ١٣٨٢ هـ (٥ يوليو ١٩٦٢م)، وصُلِّيَتْ أول جمعة فيه فى الرابع من جمادى الثانية، سنة ١٣٨٢هـ (٢ من نوفمبر ١٩٦٢م)، بعد انقطاع للأذان دام ١٣٠ عامًا.

٧- العدوان على المسجد الأقصى ومساجد القدس:

أ) القدس عبر التاريخ:

يرجع تاريخ إنشاء وقيام هذه المدينة إلى الألف الرابعة قبل الميلاد، وقد أنشأها الكنعانيون الذين كانوا يسكنون هذه البقعة، وهم من العرب، وكان يُطلق على هذه المدينة «أيوروسالم»، أو «أوروسالم» أى مدينة السلام، وكان ملكها يسمى «عبد الإله»، كما حرفت «أوروسالم» إلى «يوروساليم»، ومن هذا التحريف اشتقت التسمية



شكل (٣٤) مسجد القشاوة بالجزائر

الغربية والإسرائيلية المعاصرة «Jarusslem»، وكانت هذه المدينة تعرف بأنها مدينة السلام. وقد أطلق عليها أيضًا «إلياء»، وظل هذا اسمها إلى حين فتح عمر بن الخطاب لها بقيادة واليه عليها «أبو عبيدة عامر ابن الجراح» أمين هذه الأمة، وفى ظل الحكم الإسلامى لها أُطلق عليها: «القدس» أو «بيت المقدس».

وهذه المدينة تمثل بالنسبة للمسلمين قيمة إسلامية عظيمة، يهون أمامها كل مرتخص وغالٍ، ففيها المسجد الأقصى أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، ففى الصحيحين عن أبى ذرٍّ ـ رضى الله عنه ـ قال: سألتُ رسول الله ﷺ عن أول مسجد عُرِفَ على الأرض فقال: «**المسجد الحرام**» قلت: ثم أىّ؟ قال: «**المسجد الأقصى**»، قُلت: كم بينهما؟ قال: «**أربعون عامًا**».

ويقول الزركشى: «إن سليمان عليه السلام، إنما كان له من المسجد الأقصى تجديده لا تأسيسه، والذى أسسه هو يعقوب بن إسحاق عليهما السلام، بعد بناء إبراهيم للكعبة بهذا القَدْر (أى المدة التى بين بناء المسجدين)، وأقدم ما يُعْرَفُ عن بيت المقدس يرجع إلى الألف الرابعة قبل الميلاد، وقد اتخذ نبى الله داود هذه المدينة عاصمة لملكه، وعزم على بناء الهيكل إلاَّ أنه توفى، فبناه سليمان، ونقل إليه تابوت العهد، وصار الهيكل بيتًا مقدسًا يُذكر فيه اسم الله.

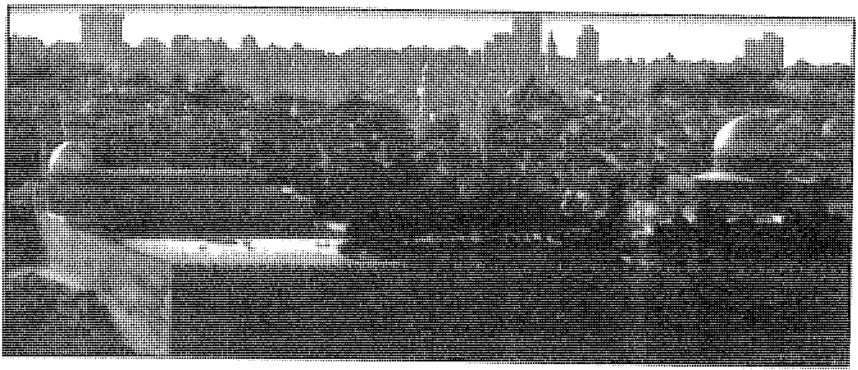
وهذه بعض الأحداث التى مرت بها هذه المدينة مصحوبة بتواريخ حدوثها:

ـ لقد سَلَّطَ الله الأشوريين على الكنعانيين بسبب كفرهم فقضوا على مملكة إسرائيل فى عام ٧٢١ ق. م.

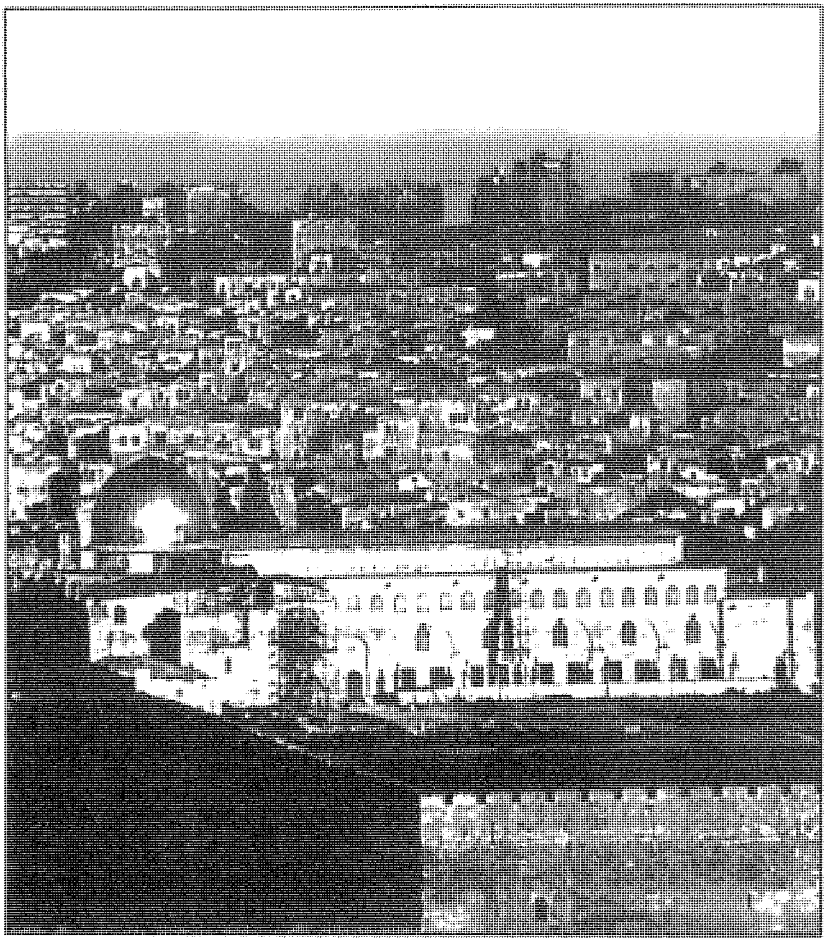
ـ بحلول عام ٥٨٥ ق.م دمر البابليون الهيكل، وقضوا على مملكة يهوذا، وأخذوا اليهود فى السَّبى.

ـ وفى عام ٧٠م قام الإمبراطور الرومانى «طيطوس» بتدمير المدينة وإحراق الهيكل، كما قام الإمبراطور الرومانى فى «حوريا نوس» بإزالة مدينة القدس، وتغيير اسمها إلى «إيليا كابيتولينا»، ولما تنصَّر الرومان اشتدت وطأتهم على اليهود بسبب غدرهم بالسيد المسيح عليه السلام، وكان ذلك فى القرن الرابع الميلادى.

ـ ولما أراد الله لهذه الديار الخير، فتحها الخليفة العادل عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ عام ١٧هـ، ويوافق ذلك عام ٦٣٦م، وأعطى عمر للبطريرك «صقرينوس» الدمشقى الأصل، أعطاه العُهدة العمرية الشهيرة، حفاظًا وتكريمًا للقدس ومواطنيها، وقد كنس عمر الصخرة بردائه، وصلى فى محراب داود، وأعاد المسلمون بناء بيت المقدس والمسجد الأقصى، ومساجد الأنبياء، واستراح اليهود فى ظل الحكم الإسلامى، وعادوا للمدينة بغرض الزيارة والسكنى والعمل والعبادة، وخفف عنهم الحكام المسلمون، كما أجروا على بعضهم من بيت مال المسلمين ما يكفيهم، كما ارتفعت معابدهم بجوار المساجد والكنائس.

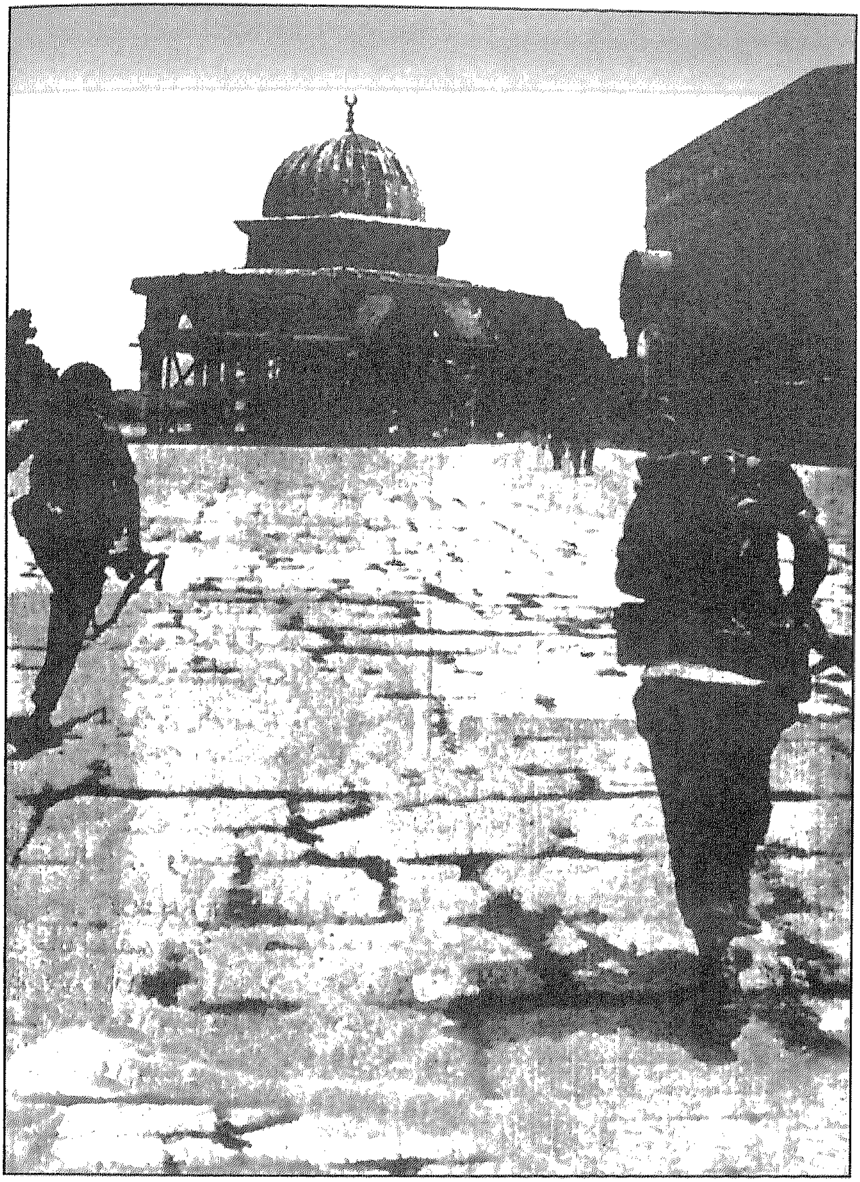


شكل (٣٥) منظر عام للمسجد الأقصى (على اليسار) بقبته الفضية ومسجد قبة الصخرة بلونها الذهبى (على اليمين) وهى المعروفة بالمصلى المرْوانى، ويظهر أيضاً سور المسجد الأقصى، الذى يضم هذا المسجد العتيق، بالإضافة إلى مسجد قبة الصخرة وغيره من المساجد، ويطلق على هذه المنطقة بمساجدها (الحرم الشريف) وأبعاد الحرم الشريف هى: ٤٧٤ متراً من الشرق، و ٤٩٠ متراً من الغرب، ٣٢١ متراً من الشمال، و ٢٨٣ متراً من الجنوب، فى حين نجد طول المسجد الأقصى ٨٠ متراً، وعرضه ٥٥ متراً، أمّا أبعاد مسجد قبة الصخرة فهى ثمانية أضلاع، طول كل منها ٢٠,٥٩ متراً، وارتفاعه ٩,٥ أمتار يضاف إليها ٢,٦٠ متران وستون سنتيمتراً، هى ارتفاع الدروة العليا.



شكل (٣٦) المسجد الأقصى ـ منظر خارجى يبين هذا المسجد المبارك وهو يقع فى أحضان مدينة القدس.

وقد أنشأه عبد الملك بن مروان وجدّده عام ٦٥هـ ـ ٦٨٥م. ويقع المسجد الأقصى المبارك في الطرف الجنوبى للحرم الشريف، وأبعاده هى: ٨٠ مترًا طولا، و٥٥ مترًا عرضًا.



شكل (٣٧) المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين.. هدف للإرهاب الصهيوني.

ولقد استمرَّ حكمُ المسلمين لبيت المقدس اثنى عشر قرنًا من الزمان، يقول ابن عباس: «البيت المقدس بنته الأنبياء، وسكنته الأنبياء، وما فيه موضع شبر إلاَّ وصلى فيه نبى، أوقام فيه مَلَك».

وفى حديث رواه السيوطى، أن النبى ﷺ قال: «**إن الله تعالى بَارَكَ ما بين العريش والفرات، وخصَّ فلسطين بالتقديس**».

- وفى عهد عبد الملك بن مروان بنى المسلمون مسجد الصخرة، وأنفقوا عليه خراج مصر لسبع سنوات، ثم بنى بعد ذلك مسجد عمر، وهو من أجمل ما عرفه الفن المعمارى، كما أنشئت بجواره التكايا والزوايا.
- واستولى الصليبيون على مدينة القدس فى عام ١٠٩٩م فيما هو معروف بمرحلة الحرب الصليبية، وتم الإعداد لذلك فى نوفمبر ١٠٩٥م، الموافق ٤٨٩ هـ؛ حيث قام البابا أوربان الثانى فى «كليرمنت» فى صلاة له بدعوة نصارى الغرب إلى تحرير المدينة المقدسة من أيدى المسلمين، واستغل ما أشيع من معاناة النصارى فى فلسطين، خلال ولاية الحاكم بأمر الله العبيدى «الفاطمى»، مُدَّعِيًا خطرًا يتهدد المقدسات النصرانية، وتمت هزيمة الأتراك السلجوقيين، وارتكبت الفظائع والمنكرات.
- وتم استعادة المدينة المقدسة على يد البطل المسلم «صلاح الدين الأيوبى»، وكان ذلك فى عام ٥٩٣ هـ الموافق ١١٨٧م، وكان

دخوله إلى المدينة المقدسة فى يوم الجمعة الموافق ٢٧ من شهر رجب.

ـ واحتل البريطانيون المدينة المقدسة بقيادة اللورد «أَلّنْبى» اعتبارًا من عام ١٩١٧م، وحتى تمَّ انسحابهم منها فى عام ١٩٤٨م، وقبيل انسحابهم أعطوا اليهود وعدًا بقيام وطن قومى لهم فى فلسطين، وهو المعروف بوعد «بلفور»، ومن هذا التاريخ والقلاقل على أشدها، والحروب تهدأ تارة لتثور تارات، كما كان من أمر إسرائيل ما كان من هَدْم مساجد المسلمين وتخريبها، وإحراقها، وترويع الرُّكع السجود بها، والتربُّص بأهلها، وآخر هذه المآسى ما قام به «إريل شارون» من التجمهر بدباباته حول المسجد الأقصى فى سنة ١٤٢١هـ. الموافق شهر أكتوبر سنة ٢٠٠٠م، وقد رَاحَ ضحية لهذا الغدر أعداد غفيرة من الضحايا الأبرياء.

وقد قدمت مجلة منار الإسلام فى عددها الثامن، وفى سنتها العشرين، فى شعبان سنة ١٤١٥ هـ ـ الموافق يناير ١٩٩٥م، خريطة لأسوار بيت المقدس وأبوابه، ونحن نورد هنا هذه الخريطة وهذه الأبواب، وكذلك صورة المسجد الأقصى.

(ب) حقيقة حائط المبكى:

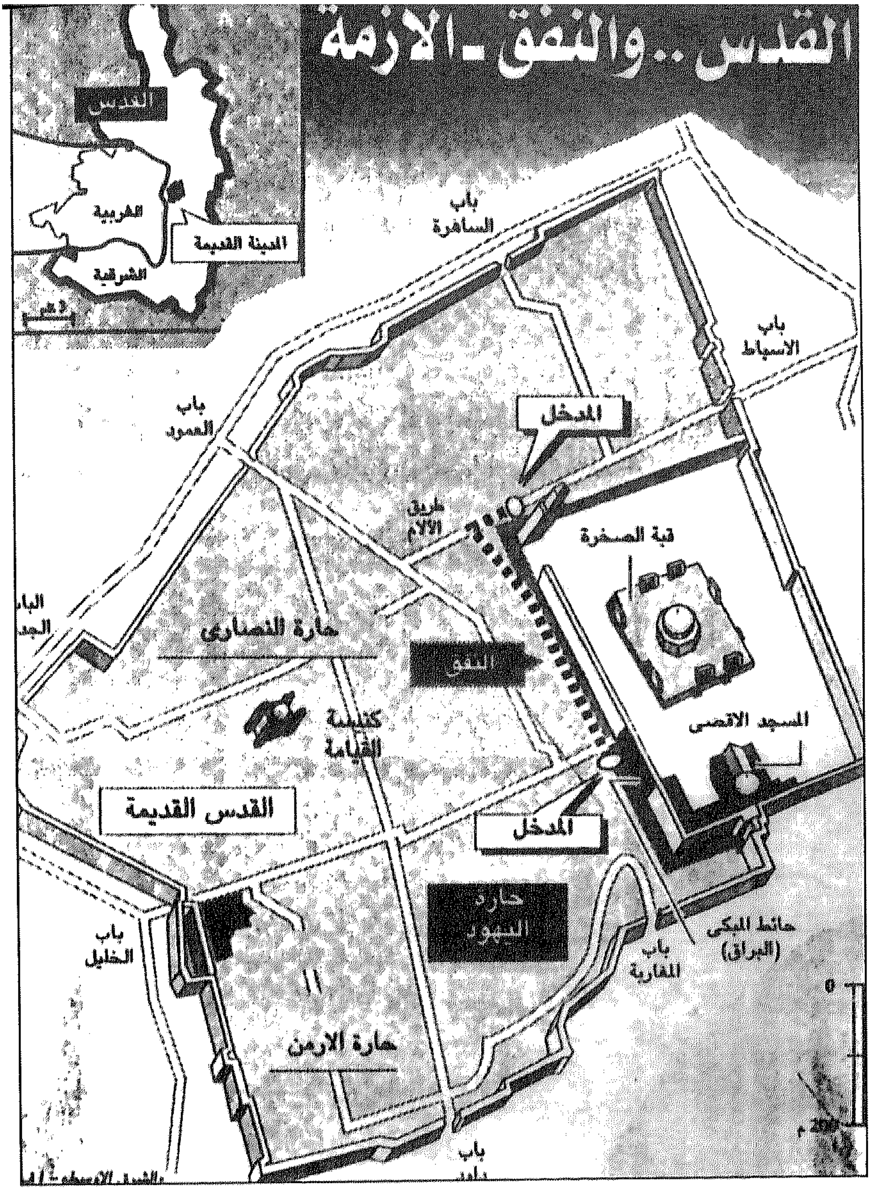
أما حقيقة حائط المبكى هذا فإنه أثر إسلامى مقدس، ويُطْلَقُ عليه

«حائط البُرَاق»، وهذا الجدار كان به حلقة ربط بها النبى ﷺ البُراق ليلة الإسراء والمعراج آخذًا بالأسباب، وأن هذا الحائط بكل حجر فيه، وبكل «مِدْمَاك» فيه، طولاً وعرضًا، بما فى ذلك الرصيف المقابل، والمنطقة الملاصقة داخل أسوار المدينة القديمة مِلْكٌ عربى، وَوَقْفٌ إسلامى خالد، وأنه لاحق - إطلاقًا وشمولاً - لليهود فى ملكيته، ولا فى ملكية أية ذرَّة من ذراته، وأن كل ما لليهود هو حق الزيارة إلى الحائط فقط، وذلك طبقًا لتقرير اللجنة المشكلة من عُصْبَة الأمم المتحدة للنظر فى دعوى اليهود عن حقٍّ لهم فى القدس وفى حائط المبكى عام ١٩٣٠م، انظر شكل (٣٨).

ج) صور من عدوان اليهود على المسجد الأقصى ومساجد القدس:

عندما قامت إسرائيل فى عام ١٩٤٨م بموجب قرار التقسيم الذى وقع عام ١٩٤٧م كان القسم القديم من القدس تحت وصاية وسيطرة الأردن، وقد احتلت إسرائيل القسم الحديث من القدس فى أعقاب حرب ١٩٤٨م. وفى عام ١٩٦٧ - فى السابع من يونيو - احتلت إسرائيل القدس بأكملها، وبقيت حتى الآن تمارس ألوانًا من الانتهاكات الصارخة، والتى من أهمها:

- إجراء الحفريات العميقة حول الحرم الشريف فى القدس من الجهتين: الجنوبية والغربية، وحتى أكتوبر عام ١٩٧٠م كان قد تم حفر ٢٣٠ مترًا من جملة ٤٨٥م هى الكمية المقرر حفرها، والتى



شكل (٣٨) تخطيط لمدينة القدس والمسجد الأقصى ونفق البراق الذى أقامه اليهود بغرض الإضرار بالمسجد الأقصى.

يمكن أن تؤدى إلى انهيار الحرم الشريف هناك، هذا بالرغم من قرارات مجلس الأمن، والجمعية العمومية للأمم المتحدة، ومنظمة اليونسكو.

ـ قام المستوطنون اليهود بهدم المساجد الملاصقة لباب المغاربة.

ـ من الانتهاكات الكثيرة والخطيرة لحرمة هذا الحرم المقدس الشريف، ما قام به اليهود من فتح المسجد الأقصى ومسجد الصخرة للسيّاح من اليهود وغيرهم، فدخلوا ومعهم كلابهم وغوانيهم، وتم أخذ الصور فيه للرجال والنساء فى أوضاع مزرية لا تليق بحرمة هذه الأماكن المقدسة.

ـ قام الحاخام الكولونيل «شلوموجورين» بدخول ساحة مسجد الصخرة، ودخل معه الجنود الإسرائيليون، وأقاموا صلاة عيد الغفران، وكان مما قالوه: «إن هذه أول صلاة لهم منذ ألفى سنة»، وبعد أن أتموا صلاتهم التى أسموها صلاة التطهير حسب طقوسهم، انخرطوا فى اللهو والرقص فى ساحة مسجد الصخرة.

ـ قام اليهود فى ٢١ أغسطس ١٩٦٩م بإحراق المسجد الأقصى من الجهتين الجنوبية والغربية، وكذلك منبر صلاح الدين، وذلك بقيادة متطرف يهودى من أصل أسترالى.

ـ قام الحاخام «كاهانا» المتطرف بقيادة حملات الهجوم المتكرر على الحرم الإبراهيمى الشريف، فى مدينة الخليل، كما حاول دخول

المسجد الأقصى لإقامة الصلوات فيه.

- وفى فجر يوم الجمعة ١٥ من شهر رمضان ١٤١٤ هـ - الموافق ٢٠ من فبراير ١٩٩٤م، قام اليهودى «باروخ جولدشتاين» بإطلاق النار على الرُّكَّع السُّجود بالحرم الإبراهيمى، فقتل وأصاب ٣٧٠ شخصًا فى هذا العمل الإجرامى.

- وفى ٢٦ من أغسطس ١٩٥٣م تم هدم مسجد قرية الريحانية، كما تم الاستيلاء على مسجد نبى الله داود المقام على جبل صهيون فى القدس وتحويله إلى معبد يهودى.

- وفى عام ١٩٨٠م تم وضع أكثر من طن من مادة T.N.T شديدة الانفجار بداخل المسجد الأقصى، ولولا أنه تم اكتشافها لحدثت كارثة.

كما تكررت محاولات نَسْف المسجد الأقصى مرات عديدة، ومن أشهرها كذلك ما حدث فى ١٠ من مارس ١٩٨٣م، و ٢٧ يناير ١٩٨٤م، و ٢ فبراير ١٩٨٦م.

- أمَّا فى أكتوبر ١٩٩١م، فقد وقعت مذبحة كبرى فى ساحة المسجد الأقصى الشريف، عندما فتح جنود الاحتلال النيران على المُصَلِّين الآمنين، الذين كانوا يحتجون على الممارسات القمعية للسلطات الإسرائيلية، وهو ما أدى إلى استشهاد ثلاثين فلسطينيًّا، وإصابة المئات.

ـ ومن قبل ـ وفى عام ١٩٤٨م ـ قامت القوات الصهيونية بجمع سكان بلدة مقبرة الزيتون فى أحد المساجد، وقاموا بنسف المسجد على من بداخله.

وما كل هذه الاعتداءات الآثمة على المسجد الأقصى العتيق ومساجد القدس الأخرى إلاَّ محاولات لطمس هوية هذه الآثار الإسلامية المجيدة، التى تدل على عروبة القدس وتبعيتها للإسلام.

ولك أن تقف مليًّا مع ماقاله «مناحم بيجين» وهو يخاطب اليهود قائلاً: «إن قلوبكم أيها الإسرائيليون لا يصح أن تتألم وأنتم تقتلون عدوكم، ولا ينبغى أن تأخذكم بهم شفقة طالما أننا بَعْدُ لم نقض على ما يُسمى بالثقافة العربية التى سوف نبنى على أنقاضها حضارتنا الخاصة».

ثالثًا: أخطار كل من التبشير والاستشراق:

إن التبشير والاستشراق من أهم التيارات التى نَذَرَ أصحابها أنفسهم وأفكارهم ووقتهم وجهدهم وجهادهم، بل وكل ثرواتهم للتشويش على العقيدة الإسلامية الصحيحة، ومحاولة إلْبَاس الحق فيها ثوب الباطل، وذلك على نحو ما قال القرآن الكريم: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ** ﴾(١)، ونَوَدُّ أن تتعرف ـ عزيزى القارئ ـ على حقيقة كل من التبشير والاستشراق فيما يلى:

(١) سورة فصلت: ٢٦.

١- الاستشراق:

يعنى الحركات الفكرية التى يهتم أصحابها من الغرب بدراسة قضايا العالم الإسلامى فى الشرق، ورصد تراثه، والتغلغل فى قضاياه لمحاولة التشكيك فيها، وتوجيه التهم والانتقادات إليها، وهو أحد أدوات الاستعمار التى يستخدمها للتدخل فى الشئون الداخلية للشعوب، وبصفة خاصة الشعوب التى تدين بالإسلام، ومن الطريف أن كثيرًا من هؤلاء المستشرقين الذين درسوا الإسلام بحيادية كاملة قد أوصلتهم دراستهم إلى الحكم على الإسلام بميزان الاعتدال، ولكن مع ظهور هذه الحقيقة فإن منهم من أسلم، ومنهم من ظلَّ منحازًا لمذهبه العقائدى السابق، ومنهم من أجهد نفسه فى لَيِّ أعناق الفصوص، لكى يخضعها إلى فكره المنحاز، بل وأضاف إلى ذلك من الأكاذيب ما لا يُصدقه عقل، ولم يَرِدْ به صحيح نَقْل.

٢- التبشير:

وهذا تيار آخر يقوم به النصارى، وهو يعنى إشاعة الدعوة إلى النصرانية، وفيه يباشر الدَّاعُون إليه أعمالهم هذه فى جَوٍّ من استغلال الحاجات البشرية لدى الفقراء والمعدمين والمرضى، وبخاصة فى البيئات المتخلفة ثقافيًّا فى دول أفريقيا الفقيرة وغيرها، وفى رأينا أن كلمة «التبشير» هذه كلمة مُحَرَّفة عن معناها الأصلى، فهى فى أصل استخدامها دعوة إلى التبشير بالدين الخاتم، وهو دين الإسلام،

وبرسوله سيدنا محمد ﷺ أخذًا من قول الله تعالى على لسان عبده ورسوله عيسى عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾(١)، ومن قول عيسى عليه السلام لأتباعه: «اذْهَبُوا وبَشِّرُوا»، أى: بهذا النبىِّ وبدينه الذى يأتى به، ولكنهم استخدموا هذه الكلمة فى غير ما وُضِعَتْ له تمامًا.

وإذا كان دور التبشير والاستشراق واضحًا وجليًّا فى القضايا الفكرية وقضايا الديانات، فإنه لا يقلُّ خطرًا فى التشويش على المسجد ورسالته، حيث أخذ هذان التياران اتجاهًا غريبًّا فى هذا الصدد، ملخَّصُه التشكيك فى أصالة المسجد ومكوناته، فقد حاول المستشرقون أن يُثبِّتُوا فى الأذهان أن المسجد مقتبس من دور العبادات التى تنتمى إلى النصرانية واليهودية وغيرهما، كالكنائس والمعابد، وأن القبلة والمحراب وغيرها من المكونات ما هى إلاَّ تقليدٌ كَنَسِىٌّ معبدىٌّ، ولقد انطلت هذه الخدعة على بعض كُتَّاب المسلمين، فأدخلوا تلك القضايا المغلوطة فى مصنفاتهم، وأشاعوا أن فكرة المسجد لها ارتباط بدور العبادة السابقة عليها، وفى هذا الصدد يقول الدكتور حسين مؤنس: «ولاشك أن الرسول ﷺ كانت لديه فكرة عن أشكال الكنائس لَدَى النصارى، والبِيَع لدى اليهود، تكونت

(١) سورة الصف: ٦.

عنده مع الأقل خلال رحلته الثانية إلى الشام عندما خرج إليه بمال السيدة خديجة، وهو فى الرابعة والعشرين من عمره، فى صُحْبَة مولاها «ميسرة»، ولكنه عند ما فكر فى بناء مسجده لم يتأثر بشىء من ذلك، وإنما استوحى الهيئة والخطة من روح الإسلام وحده»[1].

ونحن حينما نقف مع هذا النص من كلامه نرى أنه متناقض، والتناقض فيه لا يحتاج لخبير، فهو يفيد أولاً أن النبىّ تأثر بهذه الأشكال، ثم لا يلبث أن يرجع عن هذه الفكرة، ولكن بصورة تثبتها عليه، بل وتؤكدها، حيث يقول: إنه لم يتأثر بشىء من ذلك، وإنما استوحى الهيئة والخطة من روح الإسلام وحده.

والحق الذى لا مَنْدُوحَة عنه، أن المسجد فى الإسلام، وبخاصة مسجد النبىّ ﷺ عمل مشروع على هذا النحو، بل وعمل إسلامى صِرْف، وذلك لِسَبَبٍ بَسِيطٍ جداًّ، ألا وهو أن الله قد أقر النبى ﷺ على هذا البناء، وإلاّ لو كان فيه شىء مخالف للشريعة الإسلامية لصَوَّبه الله له عن طريق الوحى، كما صوب له بعض الأمور الأخرى، كموضوع الحُكْم فى أَسْرَى «بَدْر».

وهناك عامل خطير وهام نتج عن طَرْح المستشرقين لقضايا المسجد بصورة مغلوطة، ألا وهو أنهم ألهبوا حماس الجماهير غير المسلمة بأحقيتها فى تخريب مساجد معينة، حيث إنها قد أنشئت وأقيمت

---

(١) المساجد ـ لحسين مؤنس ـ ص ٥٦.

على أنقاض معابد وثيقة الصلة بديانات وملل معينة، كما أشيع عن هيكل سليمان، وأن المسجد الأقصى قد أُقيم على الهيكل، وكما أشيع عن مسجد «البابرى» بالهند، وأنه أُقيم على هيكل الإلـه «رام»، فاندفعت جموع الهندوس والصهاينة للتخريب من هذا المنطلق.

رابعًا: الشيوعية:

لقد أخذت الشيوعية البلشفية فى روسيا القيصرية صورة من العداء للأديان غير مسبوقة، هذا بصفة عامة، وللدين الإسلامى بصفة خاصَّة، وقد كان لهم أسلوب منظم، ومخطط مدروس لمحاربة الإسلام فى المجتمع، وفى صدور أهله، ويصحبنا الشيخ عبد الله قاسم الوشلى فى بيان تلك الخطة المرذولة، فيقول: «كان الاتحاد السوفيتى (سابقا) يضم تسع جمهوريات إسلامية، كانت تضم عشرات الملايين من المسلمين، الذين كان لأجدادهم الماضى الزاهر فى خدمة الإسلام، وحفظ مصادره، ونشر تعاليمه، والجهاد فى سبيله، هذه الملايين كان لها من المساجد حسب الإحصائيات الصادرة فى عام ١٩١٢م فى روسيا وحدها، باستثناء بُخَارَى وخَيْوَه، وكانت فيهما مساجد كثيرة جدًّا، وتقدر هذه الإحصائيات المساجد بـ ٣٦٢٧٥ مسجدًا، يقوم عليها من العلماء ٤٥٣٣٩ عالمًا، ما بين واعظ وإمام ومؤذن ومدرس، وكان يوجد لهم مراكز وسيطة دينية بواقع مركز واحد لكل ٧٠٠-١٠٠٠ مسلم.

كل هذه الأعداد للمسلمين ومساجدهم ومراكز دينهم تعرضت لمؤامرة خطيرة، وحرب عنيفة من قبل الشيوعيين فى روسيا، عندما أمسكوا زمام السلطة، واسْتَتَبَّ لهم الأمر، وقد بدأت الحرب مرحلية، حيث بدأت بالنَّيْلِ من الإسلام نفسه، للتشكيك فى مبادئه، والسخرية منها، واتهامه بالجمود، وعدم مُسايرته للعصر الحديث، ثم بالنَّيْل من علمائه ودُعاته المسلمين، والسخرية منهم، والاستهزاء بهم، وعزلهم عن الحياة الاجتماعية، والمشاركة الإدارية، والدعاية ضدهم، وَوَسْمِهم بألوان التهم والقبائح، ثم بالانفصال عن الأوقاف والاستيلاء عليها، والامتناع عن صرف شىء منها لصالح المساجد أو من يُديرونها.

ثم اتجهت الحرب أخيرًا إلى الإبادة والتنكيل بالعلماء وقتلهم، والتخويف والتهديد لمن يتردد إليهم من الشباب، والسخرية منهم كذلك، ثم الحرب لفرائض الإسلام ومزاولتها من قِبَل المسلمين، فَمُنِع الحجُّ أولاً، ثم الزكاة ثانيا، ثم الصيام ثالثا، وأخيرًا شملت الحملة الصلاة، وأغلقت المساجد، ثم هُدِمَ بَعْضُها، وحُوِّلَ البعضُ الآخر إلى نَوَادٍ ودور سينما ومَقَاهٍ ومخازن للفودكا، ومخازن للبضائع بناء على طلب الحزب الشيوعى.

ولم يبق من تلك المساجد الضخمة إلاَّ ١٣١٢ مسجدًا مفتوحًا للعبادة، وذلك طبقًا لإحصاء سنة ١٩٤٢م، وهذه المساجد مفتوحة اسمًا فقط، فلم تكن تُفتح إلاَّ للزيارات الرسمية للمسلمين القادمين من الخارج».

خامساً: العوامل المحلية:

وهذه زاوية من زوايا هذه القضية، ونقصد بمجموعة العوامل المحلية، تلك العوامل التى توجد فى كل قطر من الأقطار الإسلامية، فهى وإن اختلفت فى درجتها وفى حدَّتها تؤثر فى الدور الريادى للمسجد، وتقلل من فاعليته فى ترشيد العمل الإسلامى، وهذه العوامل لها ارتباط قوى بالعوامل السابقة فى معظم الأحيان، فهى كنوع من رَجْع الصَّدَى لهذه العوامل التشويشية، وهذه العوامل يمكن بيانها كما يلى:

١- العوامل التى تتعلق بالدعاة:

أ) اعتبارهم الدعوة وظيفة معاشية لا واجبًا دينيًّا.

ب) تخلِّى بعضهم عن سَمْت الأُسْوة والقدوة، وربما يرجع ذلك فيما يرجع إلى سرعة إيقاع الحياة، وكثرة التطلع إلى مادياتها أكثر من التطلع إلى معنوياتها، فالداعية أولاً وآخرًا إنسان يحتاج إلى ما يحتاجه الناس، ومن هنا فإنه يشق طريقه كما يشق الناس طريقهم فى الحياة، ولكن يفوته أنه يُقدم للناس فى هذا المجال النموذج الأمثل فى التعامل والقدوة، ولو كان ذلك على حسابه الشخصى، وتكون النتيجة بالسلب على أداء رسالته أكثر من سلبيتها عليه هو، فكل انحراف فى السلوك فإنما يُنسب إلى المنهج لا إلى صاحبه بصورة تلقائية، وهذا عامل خطير يجب

التنبه إليه والعمل على تلافيه، فإذا كان بعض الناس يكذب للتخلص من موقف محرج، فإن الداعية إذا وُضع فى هذا الموقف ينبغى أن يضرب المثل فى الشجاعة والالتزام بالحق، وإلاَّ فلا فرق إذًا بين التبن والتبر.

ج) التخلى عن ارتداء زىٍّ موحد يكون بالنسبة لهم شارة وعلامة:

فمسألة الزى الموحد هذه تعطى أهل العلم سِمَة يمتازون بها عن غيرهم، كما أنها تعمل على تسهيل التعامل معهم، والاستفادة بعلمهم، والرجوع إليهم فيما يتعلق بأمور الدين بصورة فوريَّة ومباشرة، وينبغى ألاَّ يقتصر ارتداء هذا الزِّىِّ خلال أداء عملهم فحسب، بل يجب أن يكون ملازمًا لهم أثناء حركتهم الحياتية مع الجماهير.

٢- العوامل المتعلقة بالهيئات المسئولة عن إعداد الدعاة:

ومن أبرز هذه العوامل تزويد الدعاة بقدر معقول من المعلومات التى تَمَّ التوصُّل إليها كنتيجة لثورة المعلومات والتقنية الحديثة، ولا يمكن أن نتوقف عند حدود المعرفة النظرية فقط، ولكن لابد من التعرُّف على ذلك بصورة عملية مُيَسَّرة، وذلك حتى يكون الداعية على بصيرة بحقيقة ما يقوله، وإلاَّ فإنك ستجد مَدْعُواًّ ضليعًا فى هذا المجال، هذا فى الوقت الذى نجد فيه الداعية فى وضع لايحسد عليه.

ويجب الاهتمام بإنشاء المساجد الجامعة بما يتناسب مع كثافة المناطق السكنية؛ ذلك لأن المسجد مرفق مهم، يتم التعامل فيه مع العاطفة والوجدان، ويجب أن تكون الخدمة فيه على قَدَمٍ وساق فى شتى المجالات الدينية والاجتماعية والتعليمية، بل والطبية كذلك، وذلك صيانة لآحاد الأمة وجموعها، وصَوْنًا لها من الضياع، والوقوع فريسة لخَطَر الفكر العاطفى، المتصف بالبعد ـ كل البعد ـ عن المنهجية والأصالة.

* * *

الفصل الرابع

خطة الإصلاح

أما وقد فرغنا من تشخيص الأخطار التى تحيط بالمسجد، والتى تعمل على الحد من فاعليته ونشاطه، فإنه يجدر بنا أن نرسم خطة الإصلاح، ونضع من المقترحات ما يسهم إسهامًا فَعَّالاً فى إتاحة الفرصة لهذه المؤسسة الإصلاحية الهامة لكى تؤدى دورها بما يعود على الناس بالخير الدنيوى والأخروى، وبما يعيد للمسجد دوره الريادى فى ترشيد العمل الإسلامى، وتتمثل هذه الخطة وتلك المقترحات فيما يلى:

أولاً: تبصير جماهير الْمَدْعُوِّين بمكانة المسجد وأهميته فى دنيا المسلمين:

وذلك عن طريق الاهتمام به وبمرافقه والحفاظ عليها، وكذلك عن طريق إصدار نشرات التوعية بتاريخ المساجد الشهيرة، والمساجد ذات الطابع الخاص فى بنائها وإعمارها، وكذلك إبراز دورها فى قيادة المجتمع الذى توجد فيه، من نحو التذكير بالنابهين من الذين تخرجوا فيها، وكان لهم دور فى قيادة مرافق الحياة، من العلماء والأولياء والصالحين.

ثانياً: الاهتمام بإنشاء المساجد الجامعة:

والمسجد الجامع هو المسجد الكبير الذى تَتَوافَرُ به أنواع من الخدمات التى يحتاجها المجتمع المحلى، بالإضافة لإقامة الشعائر الدينية، وتتمثل هذه المرافق فيما يلى:

١- توافر مُصَلى مناسب للسيدات.

٢- توافر مكتبة عامة مُزَوَّدة بأحدث المراجع العلمية، ومُهَيَّأة للاطلاع، على أن تُوجد بها الخدمات الحديثة مثل «الكمبيوتر» وخدمة «الإنترنت».

٣- توافر مستشفى علاجى مناسب.

٤- توافر مكتب لتحفيظ القرآن الكريم، وتدريس علوم اللغة وآدابها، والإسهام فى مساعدة طُلاَّب العلم ودارسيه عن طريق دروس التقوية.

٥- يُلحق بالمسجد قاعة محاضرات مناسبة.

ثالثاً: الاهتمام بشأن الدعاة:

ونرى أن هذا الجانب يمكن أن يكون مبكرًا حتى قبل أن يشغل الداعية مكانه هذا، وذلك بالعمل على رفع كفاءة الطلاب النابهين، والذين يمكن تأهيلهم لهذا الغرض، وذلك على التحو التالى:

١- تُقَرَّرُ مادة الخطابة على طُلاَّب المرحلة الثانوية من القسم الأدبى فى المعاهد الأزهرية، على أن تستمر هذه المادة فى الكليات التى تُخرِّج الدُّعاة.

٢- يشترط اجتياز هؤلاء الطلاب فترة للتربية العملية، بحيث يقومون فيها بممارسة الخطابة فى المساجد قبل تخرجهم أسوة بما يتبع فى كثير من المواد والتخصصات الأخرى.

٣- إصدار كتاب سنوى تُرْصَد فيه مؤلفات الدعوة الإسلامية فى كل قطر، على أن يتم تزويد الدُّعَاة بهذا الكتاب.

٤- إصدار نشرات دورية شهرية ترسم الخطوط العريضة للدعوة، مع مراعاة المرُونة فى الموضوعات، ووفائها بالأحداث الحالية، مع ربطها بالدِّين، على أن يلتزم الداعية فى عرض هذه الموضوعات بتأصيل الفكر الإسلامى فى هذه القضايا، مع الابتعاد عن الإفراط فى النقد الجدلى العقيم، أو التفريط فى وضع الخطوط العريضة، والاتجاهات العامة للحلول، كما أن عليه ألاَّ يُسْرِفَ فى استخدام القصص الوعظية إلاَّ بقدر ما تدعو إليه الضرورة، ومراعاة مناسبة هذه القصص للموضوع، مع عرضها عرضًا جيدًا، يزيل عنها توهمات الغموض، ويتيح إمكانية الاستفادة منها عمليًّا.

٥- العناية الفائقة بالركائز الأساسية للخطبة، وهى: الموضوع، والمادة العلمية، والصياغة النهائية.

٦- يمكن الاستفادة بخبرات علماء الأزهر - الذين فى سن المعاش - فى هذا الشأن.

قائمة المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- صحيح الإمام البخارى - طبعة الشعب.

٣- صحيح الإمام مسلم - طبعة الشعب.

٤- رياض الصالحين - للإمام النووى.

٥- تمييز الطيب من الخبيث، فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، لابن الديبع الشيبانى - طبعة صبيح ١٩٦٣م.

٦- النفاق والمنافقون فى عهد رسول الله ﷺ ودور اليهود: إبراهيم على سالم - طبعة الشعب.

٧- المساجد: د. حسين مؤنس - عالم المعرفة - عدد ٣٧.

٨- المسجد وأثره فى تربية الأجيال، ومؤامرة أعداء الإسلام عليه، عبد الله قاسم الوشلى، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٩- المسجد ودوره التعليمى عبر العصور من خلال الحلق التعليمية، عبد الله قاسم الوشلى - دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٠- منهج تقديم الدعوة ـ د. محمد زين الهادى ـ مركز الكتاب للنشر بالقاهرة.
١١- إعلام الساجد بأحكام المساجد ـ محمد بن عبد الله الزركشى ـ تحقيق الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغى ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.
١٢- المسجد الجامع تاج الجوامع ـ جامع عمرو بن العاص: عبد الله المصرى، دار الشرق الأوسط للطباعة.
١٣- الزحف إلى مكة ـ حقائق ووثائق عن مؤامرة التنصير فى العالم الإسلامى: د. عبد الودود شلبى ـ الزهراء للإعلام العربى، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩م.
١٤- الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية والقبطية فى القاهرة: د. أبو الحمد محمود فرغلى ـ الدار المصرية اللبنانية ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
١٥- شمس الإسلام ـ عدد تجريبى ـ الزهراء للإعلام العربى ـ ذو القعدة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
١٦- الأزهر تاريخه وتطوره ـ اللجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر ـ الأمانة العامة، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
١٧- الخطابة الوعظية والخطب المشروعة فى الإسلام ـ د. سليمان درويش ـ مؤسسة سعد للطباعة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م.

١٨- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ـ محمد بن أحمد بن على الفاسى المكى المالكى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.
١٩- الأحاديث المختارة من فتح المبدى بشرح مختصر الزبيدى، للشيخ عبد الله الشرقاوى ـ الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية، ١٩٩٢ ـ ١٩٩٣م.
٢٠- شرح الصدور بتحريم رفع القبور ـ محمد بن على الشوكانى ـ مكتبة السنة.
٢١- بحوث فى الدعوة الإسلامية ـ الأزهر الشريف ـ اللجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر، الأمانة العامة، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م.
٢٢- فضل العلم وآداب طلبته، وطُرق تحصيله وجمعه ـ أبو عبد الله محمد سعيد بن رسلان ـ دار العلوم الإسلامية ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م.
٢٣- فى ظل الله ـ الشيخ الحسينى محمد الريس ـ مركز أحمد الغانم الإسلامى ـ البحرين ـ ١٩٩١م.
٢٤- مجلة الوعى الإسلامى، أعداد:
ـ شوال ١٤١٣هـ ـ أبريل ١٩٩٣م.
ـ العدد ٣٤٢ ـ صفر ١٤١٥هـ ـ يوليو ١٩٩٤م ـ الكويت.

٢٥- مجلة منبر الإسلام، أعداد:

ـ جمادى الأولى ١٣٧٠هـ.

ـ ذو القعدة ١٤١٤هـ ـ أبريل ١٩٩٤م.

٢٦- مجلة الفيصل ـ العدد: ربيع الثانى ١٣٩٨ هـ ـ مارس/ أبريل ١٩٧٨م.

٢٧- مجلة الأمة ـ أعداد: يونيو ١٩٨٢ ـ فبراير ١٩٨٥م.

٢٨- مجلة المجاهد ـ نوفمبر ١٩٨٩م.

٢٩- العربى ـ يونيو ١٩٩٤م.

٣٠- الوعى الإسلامى، أبريل ١٩٩٣م.

٣١- مدرسة الحرمين الشريفين ـ مركز البحوث والدراسات القومية والإسلامية ـ هجر للطباعة والنشر.

٣٢- موسوعة الشروق ـ دار الشروق ـ المجلد الأول ـ ١٩٩٤م.

٣٣- سلسلة عالم المعرفة ـ شركة ترادكسيم بسويسرا.

٣٤- ألبوم الرحلات ـ مساجد القاهرة ـ ميشيل سليم ـ مكتبة المحبة ـ ١٩٩٢م.

* * *

المحتويات

* * *